

المنطلقات السياسية للإصلاح الاجتماعي لدى ابن أبي الضياف ★ الملك المقيد بقانون ★

محاضرة الدكتور جمعة شوخة يلي الملتقى الثالث لابن أبي الضياف أيام 25 - 26 - 27 جانفي 1983 .

المقدمة :

قام ابن أبي الضياف في بداية تأليفه وبعد خطبة الكتاب مباشرة بالنظر في أصناف ثلاثة للحكم كانت متعارفة وموجودة في عهده وهي :

1) - الملك المطلق (يستعمل المؤلف كلمة حكم بمعنى ملك) من صفحة 11 إلى ص 43⁽¹⁾.

2) - الملك الجمهوري من ص 37 إلى ص 41 .

3) - الملك المقيد بقانون من ص 43 إلى ص 83 .

ومن خلال عدد الصفحات التي خصصها ابن أبي الضياف لكل صنف نرى أن اهتمام المؤرخ التونسي كان بالصنف الثالث إذ خصص له 45 ص بينما لم يحظ النوع الأول إلا بـ 23 ص أما النوع الثاني فمعرض له في 4 صفحات .

وإذا كان ابن أبي الضياف قد وقف موقف الرافض للنوع الأول بما قد يجره على المجتمع من عثرات ونكبات ، فإنه امتدح النوع الثاني دون الحاح . بينما ألح على النوع الثالث ورأى فيه الوسيلة المثلى للخروج من المازق الذي تردت فيه المجتمعات الإسلامية .

فكيف كانت نظرة ابن أبي الضياف إلى الملك المقيد بقانون ؟ وما هي الأمثلة التي أوردها لهذا الصنف من الحكم ؟ .

الحكم المقيد بقانون :

لقد أشار ابن أبي الضياف إلى هذا النوع من الحكم - ولو بطريقة غير مباشرة - في عنوان كتابه : (اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان) . أما عند حديثه عنه في الفصل الذي خصصه له ، فقد بدأ بضبط هذا النوع من الحكم وذلك بمقارنته بالنوع الأول وهو الحكم المطلق ، فإذا كان الملك في هذا الصنف الأخير يسوق الناس بعصاه إلى ما يراد منهم بحسب اجتهاده² . فإن صاحب الحكم الثالث يتصرف بقانون معلوم معقول في سائر أموره لا يتجاوز

ويشترط صاحب الاتحاد وجود هذا القانون حتى ولو كان الحاكم له وازع من نفسه يردعه عن الظلم ويعمل ذلك بأن هذا الوازع الداخلي أن وجد لدى حاكم في زمن معين . فلا يمكن أن نتفق في استمراره فيه كما أنه إن وجد عند أحد الملوك فليس ثابتاً أن نجده عند من يتولى الحكم بعده .

ويهتم ابن أبي الضياف بهذا القانون - الذي هو في نهاية الأمر وحسب التعبير المصري الدستور - فيه تحدد واجبات الرأعي نحو الرعية واجبات الرعية نحو الرأعي ، ويبقى ابن أبي الضياف في نطاق اسلامي فيجعل هذا القانون مقاماً في الذل الاسلامي ، على ثلاثة اشياء وهي مصادر التشريع الاسلامي قديماً وحديثاً : القرآن والسنة واجتهاد الائمة والعلماء .

وفي نطاق تحديده لهذا النوع من الحكم يتعرض صاحب الاتحاد الى مسائل فرعية ولكنها هامة من حيث انها تنزل مكاناً مرموقاً في صلب تفكيره الاصلاحي ، فهو يحاول الاجابة عن السؤال التالي : هل أن ما يوجد في الدستور الاسلامي يفي بكل ما جد من تطورات في العصور المتأخرة ؟ .

وللاجابة عن هذا السؤال يقف ابن أبي الضياف موقفاً متفتحاً ولا يخلو من جرأة فهو لا يتهجن منهج بعض الفقهاء الذين يرون وجوب الاعتماد على نص من القرآن والسنة لسن قانون جديد بل نراه يؤكد على أن الزمن قد تغير منذ البعثة الى اليوم وظهرت معطيات جديدة في عصره لم تكن في العصور الأولى لا بد من أخذها بعين الاعتبار ؛ ولهذا السبب يقبل صاحب الاتحاد كل قروع القوانين التي تضمن لحفظ مصلحة او ابعاد مفسدة وان لم يضمها شرع ولا نزل بها وحى ، ويسمي هذه القوانين بالسياسة الشرعية وهي بالتالي لا تختلف ولا تقل قيمة عن بقية القوانين المستندة على نص صريح من القرآن والسنة باعتبار أن مقصد الشريعة هو اقامة العدل وحفظ المصلحة .

ولتدعيم هذا الاتجاه يورد ابن أبي الضياف حججاً على لسان بعض من تعرض الى هذا الموضوع من المؤلفين ورجال السياسة وهذه الحجج على نوعين :
أ - نظرية : وتقوم على أن القوانين مرتبطة بعصر من العصور واذا تغيرت الاحوال وجد جديد لا بد من تغير تلك القوانين واستنباط اخرى ، وهذا ما ورد على لسان عمر ابن عبد العزيز من السياسة وعز الدين بن عبد السلام من العلماء .

ب - تاريخية : أوردها ابن أبي الضياف على لسان الشاطبي فالأمة التي سبقت الشرائع او التي لم تكن لها شريعة نراها قد اعتمدت على قوانين عقلية وصلاح بها أمرها ، وهذا يدل على أنها اقتنعت عن تجربة أن الحكم بالهوى مفسد لمصلحة الجماعة ، فوقع نجبه .

وعندما يورد ابن أبي الضياف رأى ابن خلدون في هذه النقطة بالذات يقتصر على ايراد ما يدعم هذا الاتجاه ولا يورد ما يشتم منه مخالفته . فقد ذكر ابن خلدون في معنى

الخلافة . أن وجوب العدل في النّول يستدعي وجود قانون يقف ضدّ القوى الحيوانية في النفس الانسانية ، وهذا القانون على نوعين .

- مستمدة من الشرع وهذه سياسة دينية .

- مستمدة من العقل وهذه سياسة مدنية .

ويقف صاحب الاتحاف الى هنا في استشهاده من مقدّمة ابن خلدون لان هذا الاخير سيقف بعد ذلك موقف المعارض للسياسة العقلية لانه يرى فيها (نظر يغير نور الله) ولأنها لا تنظر الا الى المصالح الدنيوية ومقصد الشارع بالناس صلاح آخرتهم .

وهكذا نلاحظ أن هناك فرقا بين ابن أبي الضياف وابن خلدون ، فصاحب المقدمة يفصل بين النوعين : القانون الشرعي والقانون المدني ويفضل الاول على الثاني بينما يرى صاحب الاتحاف أنهما متكاملان . فالاعتماد اولا على مصادر الشريعة ، ثم اذا لم نجد نصّا نعتمد على العقل وما يستنبطه العقل هو جزء من السياسة الشرعية .

ويضرب ابن أبي الضياف ليقنع مخاطبه مثلا على تطوّر الاحوال : فينكر أن ما يفرضه الشرع من مال قد لا يفي بمتطلبات العصر الحديث من حيث تجهيز الجيوش بوسائل الدفاع العصرية . ولهذا يعيل صاحب الاتحاف الى اباحة فرض اموال جديدة لتحقيق ذلك الغرض حسب قوانين مضبوطة لا حيف فيها ولا اجحاف ذلك أن ابن أبي الضياف ممن شددوا التذكير على الوسائل المتبعة الى وقته في جمع الضرائب . ويرى أن هذه الطرق منافية لمقاصد الشريعة والعدل وأنها سبب كل المصائب التي حلت بالدول الاسلامية .

الحاكم

بعد أن حدّد ابن أبي الضياف هذا النوع من الحكم تعرّض لشروط صاحب السلطة فيه ، ويمكن أن نضبط هذه الشروط ونرتبها ، وقد جاءت مبعثرة خلال كامل الفصل كما يلي :

أ - وجوب احترام الحاكم للقانون بالقسم عليه ، وبياعه المسلمون على أساس انه سيحترم هذا القانون ، ولهذا فهم يعتبرون أنفسهم في حل من بيعته اذا خالف ذلك .
ب - وجوب استشارة الحاكم واتقياده الى أوامر الله على لسان من يأتيه أمرا بالمعروف ونهايا عن المنكر .

ج - ثم يحيلنا ابن أبي الضياف على بقية الشروط كما جاءت مفصّلة في كتب الاحكام السلطانية ويخص بالذكر منها كتاب الماوردي .

وما من شك أن اقتصار صاحب الاتحاف على ذكر الشرطين السابقين دون غيرها

هو تأكيد من جانبه على أهمية هذين الشرطين لاقامة العدل على أسس ثابتة ، وتلميح منه نكبي على انعدامهما لدى حكام عصره من ناحية أخرى .

ثم يحدد ابن أبي الضياف مهام صاحب السلطة في الملك المقيد بقانون، ويجمع في شخصه بين المهام الدينية والمهام المدنية، ويحاول في هذه النقطة ان يبرز ان هذا النوع من الحكم لا يخرج النفوذ من يد صاحب السلطة وانما على العكس من ذلك يدعم هذا النفوذ ، والحاح ابن أبي الضياف راجع الى أن اخوف ما يخافه ملوك الاطلاع في عصره هو انفلات الامر من يدهم عند تطبيق القانون ، فيقول صاحب الاتحاف مؤكدا ((وبيده القوة الحامية للدين والمملكة)) .

وانطلاقا من هذه العبارة يحدد ابن أبي الضياف مهام هذا الحاكم ويمكن أن نرتب هذه المهام كما يلي :

أ - مهام داخلية :

- ★ يمضي القوانين لتصبح سارية المفعول .
- ★ يولي حكام المقاطعات والقضاة .

ب - مهام خارجية :

- ★ ربط علاقات مع الدول الأجنبية .
- ★ عقد الحرب والسلام .

ج - مهام دينية : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ★ به تتعين فروض الكفاية على من يعينها .
- ★ هو ولي من لا ولي له من المسلمين .
- ولا يقف ابن ابي الضياف عند هذا الحد في نظره الى هذا النوع من الحكم بل يرى أنه اذا كان للرعية حقوق على الراعي : فعليها له واجبات يجب أن تقوم بها نحوه كالوفاء له والتعظيم ، وخاصة النصرة ضد الخارجين عليه حتى تتم الغاية المرجوة وهو صلاح المجتمع بانتشار الأمن فيه .

وتبرز هذه الغاية جلية عند تحديد ابن أبي الضياف لنتائج هذا النوع من الحكم ، فقد جعل على رأس هذه النتائج :

- 1 - العدل : اذ بانتشاره ينتشر الاطمئنان وتزدهر البلاد .
- 2 - المحبة : وهي نتيجة للعدل السابق ، وكلما ازداد تمسك صاحب السلطة في هذا النوع من الحكم بالقانون الا وتدعم العدل على أسس ثابتة فيعظم في عين رعيته وتنفخ القلوب لحبه .

4 - الطاعة : وهي نتيجة حتمية للمحبة وبها يزول كل أثر للثورة أو الخروج فتحقق الذماء وتحفظ الأرواح .

الخط الشريف :

وبعد هذا التحديد النظري لهذا النوع من الحكم ، ينظر ابن أبي الضياف في التاريخ الاسلامي منذ عهد الخلفاء الراشدين ، ويقرر - حسب وجهة نظر شخصية - ان الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من الخلفاء الى أبي جعفر المنصور العباسي كانوا يحكمون حسب هذا النظام وان لم يسموه باسمه فهم لا يتجاوزون بحال ما جاء مقررًا في القرآن أو مثبثًا في السنة وهم يحثون المراجعة والرد ، ويرى صاحب الاتحاف أن خطبة هؤلاء الخلفاء في اول عهدهم وخاصة الخلفاء الراشدين هي بمثابة القسم على احترام الدستور الاسلامي والسير على نهج الرسول .

ولا يخفى علينا ما في هذا الرأي من تعميم مبالغ فيه فان قبلناه بالنسبة الى بعض خلفاء بني أمية ممن اشتهروا بالعدل ، فقد لا نقبله بالنسبة الى بعضهم الآخر ممن اشتهروا بالجرأة على الحدود وكان تصرفهم مضرب المثل في النفي والحكم بالهوى ، وهكذا بدأ الحكم المطلق حسب ابن أبي الضياف منذ أبي جعفر المنصور ، فقد نهى الناس عن مراجعة الخلفاء وهم فوق المنابر . وبدأ هذا الحكم يتغلغل شيئًا فشيئًا في صلب الدولة الاسلامية ، وكان الخلفاء في ذلك على نوعين :

1 - قسم كان له من ثقافته وعلمه بالشرع أولا ، ورعاية عقله ثانيا ، ما يجعله مع انفراده بالحكم المطلق - لا يبتعد عن المصلحة العامة ، وينجذب بالحكم بالهوى ويتشبث في الأمور ، ويقدم لنا ابن أبي الضياف مثالا على هذا النوع من الحكم الخليفة المأمون العباسي .

2 - قسم ثان واصل الانفراد بالحكم وتطرف في ذلك مع خلوه من الخصميين السابقين ، فتراه ينفذ ما يعن له من أول وهلة ويعتبر ذلك اجتهادا ، ولئن تحاشى ابن أبي الضياف أن يذكر لنا شخصا معينا باسمه كاتموذج لهذا القسم الثاني فانه في تاريخه ذكر بطريقة واضحة مثالا على ذلك وهو البايع محمد باشا باي عندما كان يجلس للنظر في القضايا في المحكمة بقصره .

ولا يكتفي ابن أبي الضياف بالنظر في تاريخ الدول الاسلامية بل يشمل بنظره دولا غير اسلامية ، فيرى ان دولة الفرس قد طبقت هذا النظام قديما وصلح به امرها ، وتطبيقه في عصره بعض الدول المسيحية كفرنسا التي زارها مع المشير أحمد باي في عهد نابليون الثالث وأطلع عن كتب على تنظيماتها ، كما اطلع بصفة نظرية على ما كتبه خير الدين باشا في كتابه «اقوم المسالك ...» وما كتبه الطهطاوي في «تلخيص الابريز» .

وصاحب الاتحاد معجب بالنظام الفرنسي في عهده باعتباره انموذجاً للحكم المقيد بقانون ويعزّو كل ما تتمتع به هذه الدولة من رفاهية وعمران الى هذا النوع من النظام ، وهو لا يترك فرصة للتثويه به . ويصاحبه في دولة فرنسا نابليون الثالث .

وقد نستغرب نحن الآن من هذا الاطراء لما نعلمه من أن السلطة في ذلك الوقت بفرنسا ، وإن كانت مستندة على قوانين مضبوطة ، فإنها تكاد تكون مطلقة بيد نابليون الثالث ، الا أن هذا الاستغراب يزول لأن صاحب الاتحاد كان يتكلم وهو يقارن بين وضع الدول الاسلامية وما كانت عليه مجتمعاتها من قهر وظلم وبين ما يتمتع به الفرنسيون من عدل نسبي .

ثم ينظر ابن أبي الضياف في التاريخ الاسلامي في عصوره المتأخرة لعلّه يجد ما يشبه هذا الملك المقيد بقانون يتوجه نظره الى الاسنانة مقرّ الخلافة العثمانية ويعرض علينا محاولتين من محاولات اصلاح النظام المطلق بتركيا وتقريبه من الحكم الدستوري : 1 - المحاولة الأولى : وقعت في عهد سليمان بن سليم في اوائل ق 10 هـ 16 م . وهي محاولة سانحة تناسب ذلك العهد : فقد عهد الخليفة الى العلماء والائمة بصدد السلاطين اذا ظهر منهم تقاعس على اداء فريضة الجهاد او مخالفة الشرع وانتهاج الهوى ، وتقديم النصيحة لهم فان امتثلوا والا فان الأمر يصبح بيد ضباط الجيش الانتكشاري الذين يقومون بعزل السلطان ويؤتون خلفا له .

ولعلّ هذا الاجراء هو الذي أدخل الجيش في السياسة وسيكون لذلك نتائج سلبية فيما بعد ، فقد ثار الجيش مثلاً على السلطان محمود خان سنة 1825 ، وتمكن هذا السلطان من القضاء على ثورتهم وسحقها .

2 - المحاولة الثانية : وقعت في عهد السلطان عبد المجيد ابن محمود السابق الذكر . وقبل أن نتعرض الى هذه المحاولة الثانية التي اهتم بها ابن أبي الضياف اهتماماً خاصاً بأن ذكر النص الكامل لما وقع عليه الاتفاق من اصلاحات تجدر الإشارة الى أن صاحب الاتحاد نسي أو تناسى محاولة أكثر أهمية من المحاولة الأولى في عهد سليمان وقد تكون من الناحية التاريخية المعهده لهذه المحاولة الثانية التي وقعت في عهد عبد المجيد .

وهذه المحاولة التي أغفلها ابن أبي الضياف وقعت في اوائل القرن 19 م في عهد السلطان محمود سنة 1803 على يد وزيره مصطفى باشا بيرقدار . فقد جمع هذا الوزير وجهاء الولايات وحكامها وعقد معهم اجتماعاً انتهى باتفاق يعرف (بمسند الاتفاق) فيه 7 فصول ومقدمة ضبطت فيه بعض المبادئ التي يمكن أن تكون أساساً للدستور : فقد ضبطت وظيفة السلطان والصدر الأعظم . والناحية المالية ، كما أشارت الى وجوب معاملة جميع رعايا الدولة مهما اختلف الجنس والدين على أساس من العدل والإنصاف ،

ورضى السلطان بسند الاتفاق أول الأمر عن مضض وفي أول فرصة قتل وزيره وازال هذا الإتفاق وزاد في تدعيم السلطة المركزية .

ولعل ما سيقع في عهد ابنه عبد المجيد له اتصال - ان قليلا أو كثيرا - بهذه المحاولة التي وئدت في أولها وكانت ترمي الى اصلاحات جذرية في صلب الحكم العثماني المطلق، وهذا يفسر لنا تلك الاشارة من صاحب الاتحاف الى أن القانون الذي أعلنه عبد المجيد بن محمود والذي عرف بالخط الشريف قد تكون أصوله ألقت في عهد والده محمود .

وقد يكون ابن أبي الضياف تعمّد اغفال هذه المحاولة لما الت اليه من مأساة لا تشجع على القيام بمبادرات اصلاحية من هذا النوع وعلى العكس ثوه صاحب الاتحاف بالخط الشريف كأنه يشجع السلطان عبد المجيد في محاولته الاصلاحية بعد فشل التجربة في عهد ابيه .

وظهر هذا الدستور (أي الخط الشريف) في أول ولاية السلطان عبد المجيد سنة 1839 . وهي السنة التي ظهرت فيها ترجمة تركية لكتاب رفاة الطهطاوي (تخلص الابريز) وفي الكتاب ضبط للدستور الفرنسي مما يجعلنا لا نستغرب اذا وجدنا بعض الاتفاق بين هذا الدستور والخط الشريف .

ثم انشغل السلطان عبد المجيد بحرب القرم مع روسيا ولما انتهت هذه الحرب سنة 1856 ، تم اصدار ما يعرف بالتنظيمات الخيرية أو الاصلاحات الخيرية ، واقتصر ابن أبي الضياف على ايراد نص الخط الشريف فقط ، وأشار الى التنظيمات الخيرية بدون أن يذكرها عندما كان يصدد التعليق على نص الخط الشريف .

والناظر في هذا الدستور الذي اورده ابن أبي الضياف منوها يجد فيه مقامة تقرر : أن ضعف الدولة الاسلامية راجع الى عدم الانقياد الى أصول الشريعة الشريفة ضبط للحريات الشخصية المتعلقة بحفظ المال والعرض والنفس وهي :

1 - يحفظ القانون لكل فرد هذه الأشياء الثلاثة حتى تجنب البلاد الانتفاضات وينصرف الناس بكل اطمئنان الى ما فيه نفعهم ومصلحة بلادهم .

2 - يمنح القانون الفرد الحرية التامة للتصرف في املكه ولا يحرم والورثه من الميراث اذا وقعت جناية من المورث وفي هذه النقطة ، جاء في الفصل 66 من دستور الدولة الفرنسية عقاب الاتمان بالاستيلاء على ما يملكه قد أبطل بالكية ولا يمكن تجديده أبدا .

3 - يمنح القانون لكل فرد حرية المعتقد .

4 - الناس كلهم سواسية أمام القانون : وجبه وحقير - غنى وفقير ، وكل من يخالف

القانون يكون عرضة للعقاب ، وفي هذه النقطة جاء في دستور دولة فرنسا : الفرنسيون متساوون على اختلافهم في العظمة والمنصب والشرف والغنى .

5 - لكل إنسان الحق في عدم الاعتداء عليه أو شتمه قبل صدور الحكم عليه ، وله أن يرفع قضيته الى مجلس آخر اذا لم يرض بذلك الحكم (الاستئناف) ولمزيد التحري في اصدار الأحكام وقع الزيادة في عدد حكام المجلس العدلي . وهذا يشبه ما جاء في الدستور الفرنسي من أنه لا يمكن القبض على إنسان الا في الصورة المذكورة في كتب الأحكام . ومن قبض على إنسان بصورة غير منصوص عليها في كتب الأحكام يعرض نفسه للعقاب .

6 - وحاول الخط الشريف علاج مرض مزمن في الدولة العثمانية وهو الأمر المتعلق بالجباية فقد ضبط هذا الدستور مقدار الجباية حسب دخل الفرد وانتقد الطريقة التي كانت متبعة في السابق وهي التي يقوم فيها شخص من أعيان الدولة بدفع مبلغ معين من المال ثم يتولى جمع الجباية لنفسه .

كما حدّد الدستور مصاريف الدولة وعيّن لكل موظف مرتباً في محاولة للقضاء على الرشوة التي سماها الخط الشريف «المادة الكريهة» . وعند التعليق على الجباية تعرض ابن أبي الضياف الى قضية أهل النّمة بكثير من التفصيل والحث على وجوب معاملتهم معاملة حسنة ويرجع هذا الى :

أ - ما يسمى ابن أبي الضياف عن جرائم الولاة الأتراك في بعض الولايات المسيحية التابعة للدولة العثمانية .
ب - ضغط بعض الدول الأجنبية والمسيحية خاصة عن طريق سفرائها وقناصلها في الدولة العثمانية .

ج - لما في الدين الاسلامي حقا من التحريض على معاملتهم بالحنسنى ، ويضرب ابن أبي الضياف مثلاً عن سوء معاملة أهل النّمة في الدولة الاسلامية قديماً بثورة القبط في مصر على عبد الله بن العجّاج ، وحديثاً بخروج جزر الروم من يد الدولة العثمانية لسوء تصرف الولاة في الجزية .

7 - كما ضبط الخط الشريف مدة الخدمة العسكرية من 4 الى 5 سنوات . ويقع النظر في الانتداب الى عدد سكان المنطقة على شرط الا يخل ذلك بالتجارة والزراعة .
8 - وأشار الخط الشريف الى تكوين أ. مجلس اول يضم اعيان الدولة ووجهاتها يتولى ضبط القوانين المتعلقة بالنفس والمال والجباية ، وبعد ضبطها تعرض على السلطان لامضائها . ب - مجلس ثان سري : وهو المجلس العسكري ولا يتعرض الخط الشريف الى ضبط عدد أعضاء هذين المجلسين ولا الى الكيفية في تعيينهم ولا المدة التي سيقضونها . كما لا يتعرض الى الوزراء .

وهنا يختلف الخط الشريف عن الدستور الفرنسي فقد ضبط هذا الاخير عدد المجالس (عددها 5) وضبط دور كل مجلس وعدد أعضائه وكيفية انتداب هؤلاء الأعضاء ، لكن

يمكن أن نرى أن المجلس الأول يقوم مقام : ديوان الامبراطورية نواب الشعب في الدستور الفرنسي ، أما المجلس الثاني فيقوم مقام ديوان سر الملك وديوان الدولة للمشورة .

ومن الناحية التاريخية وصل الخط الشريف الى تونس ليطبق فيها باعتبارها ولاية عثمانية في عهد المشير أبي العباس أحمد باي يوم الثلاثاء 7 محرم 1256 / 12 مارس 1840 ، وامتنع الباي من تطبيقه وواصل سلطته المطلقة وكان في ذلك الوقت يحاول أن يظهر نفسه بمظهر الأمير المستقل عن الدولة العثمانية بتشجيع من بعض الدول الأوروبية ذات الاطماع في الالة ، ويظهر امتناع الباي من تطبيق الخط الشريف من النقاش الذي دار بين ابن أبي الضياف وبعض الوزراء الأتراك عند زيارته للاستانة ، وقد بدأ صاحب الاتحاد في موقف محرج أمامهم ممزقا بين وقائه لسيده ونداء ضميره ، ويجب أن ننتظر الى سنة 1857 ليصدر عهد الأمان في ولاية محمد باي بعد أن شهدت المملكة أحلك فترة من الحكم المطلق في عهده ، لكن لا يبدأ العمل به الا مع الصادق بي سنة 1861 (جانفي) والناظر في عهد الامان والخط الشريف يجد توافقا بينهما ، لكن قد نتساءل لماذا لم يتحدث ابن ابي الضياف عن عهد الأمان وبشديه في هذا الفصل ؟ .

قد يكون ذلك راجع الى أن عهد الأمان لم يعمر طويلا زيادة على الويل الذي جلبه للالة بثورة ابن غدام عند تطبيقه .

الخاتمة :

لقد تكلم ابن أبي الضياف عن الملك المعقّد بقانون كلام المصلح المتحمّس لهذا النوع من الحكم ، ولهذا لم يترك أية فرصة للتشويه به والاشادة بما ينجّر عنه من منافع كما أنّه لم يترك أية فرصة لاطهار ما كانت عليه الدول الاسلامية ذات الحكم المطلق من ضعف وانهلال وما يمكن أن تؤول اليها حالها لو تمسكت بالحكم المعقّد بقانون .

ورغم ما يوجد من اضطراب واستطراب وتفكك فيما كتبه في هذا الفصل ، فإن صاحب الاتحاد جعل من استحصانه لهذا النوع من الحكم الخيط الرابط لكامل اجزاء هذا الفصل ، بمحاولته جمع أكبر عدد ممكن من الأدلة والحجج من التاريخ القديم والحديث ومن التأليف النظرية لتدعيمه وتشجيع أهل الحلّ والعقد على تطبيقه .

ويبدو ابن أبي الضياف من خلال هذا الفصل رجلا مصلحا متفتحا بعيدا كل البعد عما نجده من تعصب لدى الفقهاء ، ومطلعا على كل ما يلم بموضوعه من الكتب القديمة والحديثة ، وقد زادت أسفاره الى فرنسا وتركيا تجربته شراء ، فكان بحثه نتيجة لهذين العاملين من الاطلاع الواسع النظري ، ومن الملاحظة الواقعية الدقيقة .

جمعة شيخة

كلية الآداب .

تهمة «انهزامية الحكيم» في مسرحية أهل الكهف

بقلم الاستاذة : بشرى بن معمر

يتناقل تلاميذ البكالوريا اداب فكرة «انهزامية الحكيم» في مسرحية أهل الكهف، لجعله أبطال المسرحية يموتون في الآخر، عجزا منهم على استئناف الحياة .

الواقع ان هذه الفكرة ، رَوَّج لها بعض النقاد المتسرعين مثل عبد الحق فاضل، وعلى أدهم (فيما اتذكر) في فترة يظهر ان النقد المسرحي لم ينضج فيها بعد . ولكن التأمل في المسرحية بحياد كاف يجعلنا نرفض فكرة الانهزامية فيها، ونقر بدلا منها فكرة التقدمية، او السير مع «طبائع الاشياء» ولكي نوضح هذه الفكرة، لا بد من الرجوع الى بناء المسرحية المتكامل، فالمسرحية، استمد الكاتب هيكلها من عدة مصادر أهمها : قصة أهل الكهف في القرآن، وخلاصة قصة أهل الكهف في القرآن : ان نفرا امنوا بالمسيحية، وهربوا من بطش السلطة الوثنية، فلجأوا الى الكهف، وهناك اخذهم نوم طويل لمدة قرون . ثم استيقظوا (معجزة للاختبار) .

فعدد أهل الكهف في القرآن جمع، ولكنه جمع غير محدد، فاختار الحكيم عدد ثلاثة والكلب، وهذا الجمع احده يساوي البقية، اي في القصة القرآنية، لا وجود لملاح للواحد تميزه عن البقية، والحكيم ميمز بين الشخصيات، وركز في تمييزه على البعدين : البعد الاجتماعي ، والبعد الفكري والنفسي، اما البعد الجسدي، فاكتمل باشارات عابرة اليه .

وخلاصة البعدين : الاجتماعي، والفكري والنفسي، تتمثل في تلك الانتماءات الاجتماعية : راع ، وزير ، وفي تلك الروابط : قطيع غنم للراعي وملخا ، وولد وزجة وببت لمرنوش، وعشيق لمشيلينا .

وهكذا ، فالبناء والهدف مختلفان بين القصة القرآنية، والمسرحية، وكان الكاتب ينطلق من هذا السؤال : ما هي حقيقة الحياة الانسانية ؟ ليجيب بأنها مجموعة روابط وصلات بها يكون للحياة معنى ، وبدونها ينعدم معنى الحياة، ويعجز الانسان عن عيشها .

ثم اهل الكهف عندما (يستيقظون) ويكتشفون زوال روابطهم، يقتلهم هذا الاكتشاف، وعندئذ نتساءل، ما الذي ذهب بروابطهم (اثناء نومهم) ؟ فنعرف أنه الزمان .

وإذا فتتطور القضية من «معنى الحياة الانسانية التي هي مجموعة روابط وصلات» الى عنصر جديد هو : ما مدى علاقة الانسان بانسانيته ؟ ومن خلال المواقف والاحداث نجد الجواب الاتي : «الانسان أسير انسانيته» اي هذا الكائن يخلق انسانا، ويعيش انسانا، ويموت انسانا، ودوره، وعظمته ان يناضل داخل انسانيته هذه ، وقد ينجح الى ابعد الحدود، اما ان يخرج عن انسانيته، اي ان يكون فوق تأثير «فعل الزمان» والزمان عنصر أساسي في انسانية الانسان، فذلك امر غير ممكن . بتعبير اخر ، لو استطاع أهل الكهف خلق روابط وصلات جديدة، واستأنفوا الحياة من خلالها ، لكانوا فوق تأثير فعل الزمان، مثل الله، والانسان في تفكير الحكيم غير مهيبء ليصبح الاله . وهكذا فعود أهل الكهف الى كهفهم للموت ليس «انهزامية» كما يتراءى للنظرة السريعة، وإنما هو موقف فكري من «معنى الحياة الانسانية» و «انسانية الانسان» عند الحكيم .

ثم لو اعطي الحكيم فرصة استئناف الحياة لاهل الكهف، الا يكون داعية لبعث الماضي برمته في حاضر بعيد عنه ؟ وبالتالي ، الا يكون جعل الماضي هدفا لكي ينجزه الانسان في مستقبله ؟ وعندئذ الا يكون من عبدة الماضي ؟! وعبادة الماضي ليست هي الانهزامية في حقيقتها ؟ .

لأنها تعني ان نكرر لا ان نبدع، والابداع، أليس معناه اعطاء الفرصة للجديد في الحياة ؟ وبالتالي اليس انسحاب الماضي توفيراً لهذه الفرصة ؟ .

والذي يؤكد هذه المعاني في المسرحية هو مسار شخصية بريسكا الثانية في المسرحية، فهي ذات العشرين ربيعا، والتمهينة للحب، والتي فهمت حقيقة بريسكا الاولى بقلبها، فهما تطابق مع «الواقع» المكتشف، على عكس مؤدبها الذي قدم شخصية بريسكا الاولى «من تطريز العقل والفضيلة» فقدم صورة جميلة لكنها غير حقيقية من بعض جوانبها - بريسكا الثانية هذه الشابة المملوءة بالحب والتي كانت في البدء سعيدة بسماع غزل مشيلنيا ، ثم غضبت عندما انقشع الالتباس، وعرفت ان هذا الغزل موجه الى الاخرى من خلالها، ثم لا تلبث ان تنقمص بريسكا الاولى، فتعجب بمشيلنيا وتقع في حبه، والحب حتما لا بد ان ينطوي على الخوف والالم ، فتتباطأ في اللحاق بمشيلنيا الى

الكهف شهرا، وعندما تلتحق بالكهف وتجده حيا تحاول انقاذه، ولكي يتم بينهما تبادل كلمات الحب وتجاوز الحاجز، وتبرير هذا التجاوز من خلال وهم الحب، فهي تصل الى مرحلة الاقتناع بهذا الحب، وتقول عن حبيبها ما كان قد قاله عنها : (سيان عندي ان تكون اياها او لا تكون ... احب هذه المرأة ذات الكتاب ...) ولأن طاقة مشلينيا على الحياة كانت قد نفدت ، فتقرر بريسكا ان تموت بجانبه، وتوصي مؤدبها بأن يعلم الناس قصتها : «انها امرأة احبت وكفى» فحبها قادها الى التضحية بحياتها، فهي وإن انتصرت بقلبها على «حاجز الزمان» لكن هذا الانتصار قادها الى الموت، وأتذكر ان الناقد محمد مندور قال : هذا المشهد الأخير يمكن حذفه دون ان تتأثر المسرحية» والصواب غير ما يقول مندور ، لان لموت بريسكا دلالة فكرية هامة في المسرحية، وذلك ان بريسكا الثانية شخصية من «الحاضر» وحب انسان الحاضر للماضي - الى ذلك الحد - معناه التقيد به والتعامي عن «المستقبل» او التخلي عن عيش الحياة .

وهكذا فموت بريسكا الثانية هو تعبير فني عن عدم جدوى تقديس الماضي واعتباره انجازا نهائيا لا يتجاوز . *

وإذا فالعبارة ليست بموت البطل اي موت، بل بنوعية الموت، وموت اهل الكهف الثلاثة على أساس انهم ماض بعيد انقطعت صلاتهم بالحاضر والمستقبل هو عكس «الانهزامية» بل هو جوهر التقدمية، وموت بريسكا الثانية، انسان الحاضر، المحبة لمشلينيا «رمز الماضي» هو تجسيم لرفض عبادة الماضي واعتباره مستقبلا يعاش من جديد .

ولعل النقطة المثيرة للذهن، هي اعتبار الحكيم (المرأة) من خلال بريسكا للتانية كأننا نعيش ويفكر، ويشعر من خلال الحب فقط، ولكن رأي الحكيم في المرأة - لظروف نفسية - هو رأي أقرب الى الشعر ولمحاته منه الى صرامة العقل وبراهينه .

وأخيرا، فرأيي هذا ليس دفاعا عن الحكيم بقدر ما هو محاولة لفهم المسرحية فهما امينا، من خلال النص المتكامل، وفي سياق تفكير صاحبه . اما مناقشة تفكير الكاتب وأطروحاته فتلك قضية أخرى .

بشرى بن معمر

13 فيفري 1986

ابن خلدون : مؤرخ ام عالم اجتماعي ؟

محمد الازهر باكينى

تقديم : لا يمكن في نظرنا فهم التاريخ كظاهرة عامة وشاملة من ناحية، وكمادة او علم يدرس من ناحية اخرى الا من خلال نظام فكري مركز وهادف ومتناسق . فلاننا نعتبره علما انسانيا شاملا لكل ظواهر النشاط الاجتماعي نقول ان التاريخ نظام معرفي متكامل يخضع الى ابعاد وقوانين نظرية وتطبيقية . لذا يتعين على دارس الظاهرة التاريخية ان يمتلك نظاما فكريا معرفيا لفهم الانشطة المتداخلة في العملية التاريخية حتى يتجاوز التعريف التبسيطي والتهميشي للتاريخ لانه لا وجود للتاريخ كعلم دون وجود النشاط العقلي المعتبر قاعدة اساسية لفهم الظواهر التاريخية، ولا وجود للتاريخ دون توجه لمعرفة اسرار الظواهر الطبيعية او الاجتماعية باعتبار انه يشمل كل ظواهر النشاط الاجتماعي الانساني في علاقته المختلفة ومن هنا تظهر اهمية استنتاج قوانين المعرفة التاريخية وخصائصها العامة المعمول بها الان في نطاق البحث العلمي اذ اصبح العلم التاريخي لا يخرج عن اطاره الاجتماعي بكل ابعاده بعد ان وضعه العلامة ابن خلدون فهل من المعقول القول بأنه لم يكن البتة مؤرخا (1) ؟

يقول الدكتور محمد الطالبي : ان ابن خلدون لم يكن مؤرخا كغيره من المؤرخين وأنه لم يكن مؤرخا فحسب بل كان أيضا مفكرا (2) .
لم يكن ابن خلدون يفكر في التاريخ في البداية . فقد اهتم بالفلسفة باشراف استاذة : الابلبي فلخص في سن العشرين من عمره مؤلف الرازي (كتاب بمحصل افكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمنكلمين) (3) ولكنه شعر بالخيبة بالنسبة للفلسفة فتذكر لها لانه وجدها لا تنطبق على الواقع ولا تحلله . ثم ان الرجل وإن لم يؤلف في الفقه ولو حرفا واحدا فقد كان قاضيا، بحيث نجده في الشرق استاذ حديث وفقه مالكي . ولم يكفه هذا فنقد حتى الحديث .

اما التقاء ابن خلدون بالتاريخ فقد كان عرضا في حياته ، مفاجئا وحاسما، لانه ظهر في مفترق طريقين : طريق المغامرات السياسية التي سلكها بنفسه

وطريق التأمل في الماضي قريبه وبعيده التي ظهرت له ملتوية الممرات كثيرة المعاهات . وقف في هذا المفترق وقد نيف عن الاربعين ، فاعتزل طوال اربع سنوات بقلعة بني سلامة(4) ليعتبر وليفهم . فكان اصطدامه بالتاريخ . اراد ابن خلدون فهم ما كان يجري من احداث . وكيف تفهم الاحداث ما لم توضع في احداثيات الزمان والمكان ، اي في اطارها التاريخي وهكذا اصبح مؤرخا رغم ان التاريخ لم يكن من قبل حرفة له ، كان التاريخ بالنسبة اليه اداة للاجابة على تلك الاسئلة الكثيرة التي كانت تشغل باله .

عند الانطلاق ، كانت شواغل الرجل تتعلق بالمنهجية التاريخية فاذا بهذا البحث يؤدي به الى نتيجة لم يكن يتوقعها حتما من قبل اذ ادى البحث الى اكتشاف علم العمران البشري والاجتماع الانساني . وقد كان ابن خلدون يرغب ايضا من التاريخ فهم الواقع الذي مارسه وقد بسط هذه الرغبة في التوطئة التي استهل بها تأليفه وفي مقدمة المقدمة اي الكتاب الاول(5) .

اتضح له أولا ان هناك عوائق تعوق دون الموضوعية عامة، ومنها الانحياز الى مذهب معين والالتزام به(6) او الانقطاع الى حاكم او اسرة لاسباب مادية . وحتى لا يقع المؤرخ في الغلط والانزلاق في الوهم وجب عليه عدم الاكتفاء بالاعتماد على مجرد الرواية بدون سابق تمحيص يقيني . وقد كان هذا الاعتماد اساسا لصحابة العلوم النقلية من المؤرخين والمفسرين او من المحدثين(7) . فأهل الحديث قد ركزوا جهودهم على النقد الخارجي واكتشف ابن خلدون اهمية النقد الباطني للنصوص La Critique Interne des Textes ، وهو لا يلغي بالطبع النقد الخارجي بل يتممه لان النقد الخارجي ضروري ولكنه غير كاف . والنقد الباطني هو ايضا ضروري ويكون كافيا اذا ما ضم نتائج النقد الخارجي .

اما بالنسبة للوقائع Les Faits evenementiels فمقياسها حسب ابن خلدون هو قانون المطابقة . وقد اعطى نماذج من تطبيق هذا القانون لها اعتبارها وأهميتها من الناحية المنهجية . فعند نقد حدث معين وإذا تبين للباحث انه مطابق للواقع فهو اذا ممكن الوقوع وعندها يمكن ان نعتد النقد الخارجي الذي يعطي الوسيلة التي بلغ بها الخبر البينا بشكل يبرر التصديق . وليس المهم بالنسبة البينا مدى نجاحه في تطبيق هذه المنهجية بل المفيد هو انه واضع المنهجية . فلان وضعت منهجية الحديث في القرن الثاني

هجري وبلغت أوجها عند الطبري ، فيكفيه شرفا انه اول من فكر في منهجية
عصرية جديدة .

وحتى نكون اكثر موضوعية، نقول اننا لو تصفحنا تاريخ ابن خلدون لا
يسعنا الا القول بأنه لا يغني البتة ، حتى في تاريخ المغرب، عن غيره، بل
نجد في غيره اكثر ما نجد فيه فهو لا يأتي الا في المرتبة الرابعة بعد ابن
عذارى وابن الاثير والنويري .

ورغم ان ابن خلدون قد اكتفى بتعيين موضوع العلم الجديد فان ظهور
علم الاقتصاد والاجتماع لاحسن دليل على تحقيق رغبته في فتح مجال البحث
ومتابعته اذ يقول « ولعل من يأتي بعدنا ، ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم
مبين، يغوص من مسائله على اكثر مما كتبنا ... » (8). فصلة الكتاب الاول
في العمران بالكتابين الثاني والثالث في التاريخ ، انما هي صلة المخبر بما
يكتشف فيه من القوانين كما يذكره الدكتور الطالبي (9) اما الكتابان الاول
والثاني فلا يزيدان عن كونهما المخبر الذي عمل فيه المفكر الخلدوني فكان
اكتشافه للعلم الجديد الذي ذكرناه : علم العمران اي علم الاقتصاد
والاجتماع .

واخيرا نقول ان هذه النتائج قد اقرها اغلب النقاد نذكر منهم ارنولد
توينبي (10) . فهل من الغريب ان يكون ابن خلدون، انطلاقا من قاعدة
ضيقة نسبيا، قد استطاع ان يبلغ النتائج التي انتهى اليها .
لعل ذلك سر عبقرية الرجل .

(1) نحن لا نوافق الزميل محمد الهادي الدريدي عندما يقول ان ابن خلدون عالم اجتماعي
وليس بمؤرخ، الاتحاف عد3 ص 16 .

(2) انظر : م . الطالبي : منهجية ابن خلدون التاريخية ص 5 وما بعدها .

(3) ط . القاهرة 1905 .

(4) توجد بولاية وهران بالجزائر .

(5) المقدمة، ج 1 ص 362 - 408 .

(6) المقدمة، ج 1 ص 409 .

(7) نذكر منهم الطبري الذي يكتفي بالسمع .

(8) المقدمة ج 4 ص 1475 .

(9) م . الطالبي : منهجية ابن خلدون التاريخية ص 65 .

(10) انظر : TOYNEBEE, A STUDY OF HISTORY, 6^e ed. 1955 .

بين واديين « الاخماس والمشرع »

شعر : أحمد صنديد

غنى لحن الوفاء منذ قرون
عبر هام الربى وخضر الغصون
واستبد بنا الحنين فصحنا
أي واد يعيش جم الفنون
ذاك وادي الاخماس خير عطاء
من اله السماء رب الحجون
عقد سليانة الجميل وماوى
كل خير على امتداد السنين
كم تمنيت أن اراه عيانا
كم سمعنا عن سحره والفنون
قد قنعنا بما سمعنا وأنا
من هواه في حيرة في جنون
ذاك شاد من الشمال تنغشى
في خريف المياه بادي الحنين
(مشرع) الخير بالجنوب نداء
فائن ، أسر ، جميل (العيون)
مجمع الماء في الجريد وملقى
كل صب وكل ألف حزين
واحة الخلد ، توزر قد تباهت
بالسواقي الحسان منذ قرون
ذاك واد من الشمال وهذا
من جنوب البلاد خير معين
طوقا صاحبي إنا التقينا
قد وجدنا أشواقنا في العيون
- أ . ص .

التحولات الاجتماعية بالمغرب العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين

(2)

بقلم : محمد غرس الله

البورجوازية الصغرى أو الطبقات المتوسطة

تعددت مجالات عمل الفئة الاجتماعية المتوسطة اذ كان جانب منها يعمل في الفرع الليبرالي الثقافي كالاساتذة والاطباء والمحامين وهي تمثل الفئة المثقفة الجديدة ويعمل الجانب الآخر منها في حركة التجارة . نشأت هذه الطبقة وترعرعت في ظل النظام الاقتصادي الجديد من خلال الفئات التي يتساقط من الاقتصاد الاستعماري الذي كان يبقى قسماً منه للمحليين، وأن كانت هذه الطبقة تنحدر من أوساط اجتماعية متواضعة فانها استفادت من حركية ثنائية في المجال الجغرافي والاجتماعي اذ انتقلت من القرى الى المدن وتمكنت من الارتقاء في السلم الاجتماعي .

لقد كانت النخبة المثقفة الجديدة أكثر راديكالية من الفئة القديمة اذ لم تكن لها مصالح تدافع عنها الى جانب الاستعمار وبالتالي فقد فشلت ركيزة النهضة الوطنية الايديولوجية وتزعمت الشعور الوطني وتدعمت تدريجياً من حيث العدد والمكانة وأصبحت بمثابة الخميرة في عملية التحول الاجتماعي بحكم ارائها وتصوراتها للمجتمع المقبل . وفي اطار غياب صراع طبقي واضح في مجتمع خاضع مثل المجتمع المغربي خلال النصف الأول من القرن العشرين فإن البورجوازية الصغرى استطاعت بفضل توجهاتها الوطنية والقومية الوحودية ان تكسب الطبقة العاملة وتجعل منها حليفاً تعتمد عليه في تحريكها ضد الاستعمار .

الطبقة العمالية :

تعتبر فئة العمال بالمنظور الاقتصادي والاجتماعي المعاصر وليدة القرن

العشرين في المجتمعات المغربية وهي افرار للتناقضات المتولدة عن سياسة الاستعمار ، ولئن لم يشهد المغرب خلال هذه الفترة حركة صناعية حقيقية إذ اقتصر دوره حسب رغبة المستعمر على توفير المواد الأولية الخام الصناعية والفلاحية حيث لم يسمح بإقامة الصناعات عدا تلك التي توفر الحاجات الضرورية الحياتية للجالية الأجنبية كالمواد الغذائية فإن عملية استخراج المناجم وإنتاج حاجات السوق الخارجية من المواد الفلاحية كالخمر والزيت والقوارص وبدرجة أقل الحبوب في إطار ضيعات كبرى بيد المعمرين قد أدت إلى ظهور مجموعات هامة من العمال . كما استوجبت عملية استخراج المناجم كالحديد والزنك والرصاص وخاصة الفسفاط بمدن الجنوب الغربي التونسي ومنطقة اسفي بالمغرب الأقصى تركيز تجمعات عمالية هامة كما خلقت عملية النقل والتصدير حركة نشيطة في مستوى النقل الحديدي والشحن بالمواني .

وعلى هذا الاساس فإن عملية الاستقطاب العمالي انحصرت في مستويات معينة كالمناجم والسكك الحديدية والموانيء والصناعات الاستعمارية الكبيرة وقد كانت أوضاعها متردية من حيث ظروف العمل ونظام التأجير وغياب الضمانات الاجتماعية مع ما تتعرض له من حوادث .

وعلى الرغم من غياب التجارب العمالية في المغرب في الفترات السابقة فقد أصبحت الطبقة العمالية تدرك وزنها الاجتماعي ووجدت في النخبة المثقفة خير سند لها لتبصيرها بواقعها وتأطيرها سياسيا ووطنيا مما أهلها لتأدية دورها إذ كانت في طليعة القوى الوطنية المناهضة للاستعمار .

الفئات الشعبية الحضرية :

كانت الحياة الاقتصادية في الارياف المغربية تقدم على توازن النشاطات الزراعية والرعية في إطار تحقيق اكتفائها الذاتي، لذلك كانت علاقتها مع المدينة تكاد تكون محدودة وبدخول المغرب في علاقة الهيمنة اختل هذا التوازن حيث عمد الاستعمار الى انتزاع اراضي الاهالي سواء التي تخضع للملكية الفردية أو الملكية الجماعية وغيرها كأراضي العروش «والحبس» وقد تفاقمت عمليات الاعتصاب تدريجيا فاضطر العديد من الفلاحين كبارا

وصغارا إلى العمل لدى المعمرين وقتئذ ذلك أن ضيعات المعمرين لم تعد في حاجة إلى خدماتهم حيث وفر اصحابها وسائل العمل العصرية ولم يبق أمام العديد من سكان الريف إلا مغادرة مواطنهم الأصلية منهم من خير الهجرة ومنهم من أمل انقاذ وضعه بالتحول إلى المدينة . ومنذ بداية القرن العشرين انطلقت حركة الهجرة إلى الغرب وخاصة بالجزائر وتدفقت مجموعات هائلة من الريفيين نحو المدن بحثا عن وضع أرحم وأفضل ، وبحلول جحافل النازحين استهدفت المدن المغربية الكبرى كنونس العاصمة والجزائر والدار البيضاء إلى عملية تضخم عمراني وسكاني سريع ومفاجيء لم يواكبه تطور في الأنشطة الاقتصادية وفي قابلية الاستيعاب بل كان على العكس من ذلك مواكبا لازمة شاملة شملت أنشطة المدينة . لقد سجلت الفترة الممتدة بين 1930 و1965 تضاعف عدد سكان المدن نتيجة عملية التحضر الفوضوي التي أدت إلى خلق المدن وتطويقها بأحزمة الفقر والخصاصة التي انتصبت في شكل أحياء قصديرية ارتفع عدد سكانها بسرعة مذهلة وكانت البطالة والجوع في انتظارهم وقد اشارت إحدى الدراسات التي تشرمت عن حي الجبل الأحمر بتونس العاصمة سنة 1950 في العدد العاشر من كراسات تونس لسنة 1955 أن ثلثي سكان هذا الحي من العاطلين عن العمل والعملة اليوميين .

لقد كانت هذه الفئات الشعبية الحديثة العهد في واقعنا الاجتماعي والجغرافي في فترة تحول إذ كانت بصدد البحث عن هوية جديدة اثر الاجتثاث الذي تعرضت له ففقدت عدة جوانب من معيذاتها في اطار المجتمع الريفي الذي كانت تنتمي اليه كاللباس واللهجة والمسكن ونمط العيش اليومي وغيرها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الفئات التي كانت تمزقها مرارة الشعور بالغبن قد وفرت الارضية الاجتماعية الملائمة لاعطاء تحرك الفئات المثقفة بعدا سياسيا جديدا فقد كان للارضية الاقتصادية والاجتماعية التي ميزت العالم في الثلاثينات وانعسكت بحدة على المستعمرات دور فعال في التحام القوى الاجتماعية الجديدة بالأحزاب السياسية التي ظهرت في المنطقة وبذلك أخذت حركات التحرر منعرجا جديدا نحو مزيد من التجذر والاعتماد على القوى الحية بالبلاد . أفضت بعد كفاح مرير إلى استرجاع السيادة التي دفعت شعوب المنطقة في سبيلها ضريبة الدم لكن التصدع الذي طرأ على هياكل

المجتمع المغربي وما أصاب اقتصاده من تفكك يمثل بصمات سوداء تركها الاستعمار موسومة بأحرف بارزة على الواقع المغربي وهو ارث سلبي استئلمته الدول المغربية غداة حصولها على استقلالها ويتمثل في مستوى الهياكل الاقتصادية في هيمنة القطاع الزراعي بصنفيه التقليدي و«العصري» وضعف قطاع الصناعة والخدمات مع الاعتماد على تصدير المواد الأولية الزراعية والمعدنية وذلك في اطار تفاوت جهوي مجحف ، أما في المستوى الاجتماعي فإن الوضع الموروث يتميز بالانفجار الديموغرافي وسيطرة البطالة واشتداد حركة النزوح في اتجاه المدن الكبرى بالاضافة الى تدهور الوضع الصحي والتعليمي حيث كانت الامية سائدة في اغلب انحاء المغرب أمام هذا الوضع القائم وفي اطار قلة الامكانيات المادية والبشرية انطلقت منذ الستينات وفي ظروف صعبة عملية معالجة مشاكل التنمية في اطار محاولة شاملة نجدها اليوم بعد مرور عشرينين فقط قد حققت الكثير من المهام المطروحة وهي متواصلة في اطار نظرة جديدة تقوم على ارساء قواعد التعاون الافقي بين اقطار المغرب بدرجة أولى ومع البلدان العربية والافريقية في مستوى ثان ولعلها اكثر شمولية في تونس اليوم بامتدادها إلى أغلب دول العالم .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تقرأ في الاعداد القادمة

الادخار أبو ياديس

الاستعمار الفرنسي والريف التونسي

بقلم : محمد الهادي الدريدي

دخلت البلاد التونسية تحت الاستعمار الفرنسي منذ بداية الخمس الاخير من القرن التاسع عشر ميلادي في مرحلة تاريخية دقيقة لفرنسا التي بدأ نظامها الاقتصادي الرأسمالي في تلك الفترة يدخل مرحلة احتكارية غنية بالتناقضات بعد انتهاء المرحلة الحرة في بداية الحركة التصنيعية التي عرفتها أوروبا الغربية عامة وفرنسا خاصة .

وكان لزاما على هذا الاستعمار ان يسعى ان يحل تناقضاته الاجتماعية والاقتصادية على الارض التونسية على حساب المجتمع التونسي فجاءت تأثيراته سلبية وخطورة وخطيرة خاصة على الوسط الريفي خاصة وان « الایالة » التونسية من ذلك الوقت تمثل مجتمعا ريفيا يركز على الارض والفلاحة التقليدية ذات المميزات الوسيطية وبعيدة عن التطور الذي شهدته الفلاحة الأوروبية منذ القرن الثامن عشر .

والحديث عن الريف التونسي يجرنا إلى الحديث عن البنية الاجتماعية الريفية في ذلك الوقت أي القاعدة الاجتماعية وكذلك عن القاعدة الاقتصادية .

فعلى المستوى الاجتماعي كان المجتمع التونسي مجتمعا قَبَلِيًّا متكوّنا من عدّة قبائل ، تربط بين أفراد القبيلة الواحدة رابطة الدّم ولا قيمة للفرد والشخص خارج حدود القبيلة فإليها ينتمي وبها يرتبط وبها يفخر . وهذا المجتمع القبلي ميزته الاولى التجزأة والانقسام .

وللقاعدة الاجتماعية القبليّة قاعدة اقتصادية تجمع بين أفراد القبيلة الواحدة إلى جانب رابطة الدم ونعني بذلك الملكية الجماعية التي هي ملك يشترك فيه كل أفراد القبيلة وهذه الملكية أرض فلاحية . أي عقارات أو مواشي .

أما الملكية الفردية فهي لا تمثل نسبة ماثوية هامة وإن وجدت فهي في مناطق محدودة جدًا خاصة قرب المدن .

وبمجيء الاستعمار حاول ان يتبع سياسة توطينية تهدف إلى توطين أكثر ما يمكن من المعمّرين الفرنسيين خاصة في الاراضي الخصبة بمناطق الشمال .

ومن هنا التجأ الفرنسيون إلى حيل عديدة لافتكاك الاراضي التونسية وتمليكها للمعمّرين الذين بدأ عددهم يتزايد للوقوف أمام الجاليات الاربوية الاخرى خاصة الايطالية والمالطية .

الحيلة الأولى التي إتّجأت إليها الاقامة العامة مطالبة الاشخاص بتقديم الوثائق والحجج العمدية التي تثبت ملكيتهم للارض وبما ان الارض في غالب الاحيان ملكية جماعية فإن الافراد غير قادرين على تقديم تلك الحجج وبذلك تتخذ السلطة الاستعمارية قرار الافتكاك الجائر .

أما الحيلة الثانية فتتمثل في حرمان القبائل التي تنور في وجه الاستعمار من أراضيها تشفياً منها وردعا لمثيلاتها التي تروم الثورة في وجه المستعمر .

ثم قنّنت السلطة الاستعمارية هذه الاجراءات التعسفية عن طريق المحكمة العقارية التي أنشأت سنة 1885 .

وهكذا نلاحظ أنّ الاستعمار الفرنسي استطاع ان يقضي على القاعدة الاقتصادية التي تجمع شمل أفراد القبيلة فما هو تأثير فرقة القاعدة الاقتصادية على القاعدة الاجتماعية في الريف التونسي في ذلك الوقت ؟

أول النتائج تتمثل في فرقة القاعدة الاجتماعية فلا يمكن لهؤلاء الاشخاص - أي أفراد القبيلة - أن يواصلوا التفاهم مادام العنصر المادي الذي يرتزقون منه قد انحل واضمحل . لكن أين سيذهب أفراد القبيلة حين يتشتتون ؟

1) هناك من سيصبح عاملا فلاحياً عند المعمرين وذلك ليرتزق ويعيش وسيسكن قرب ضيعة المعمّر أو قرب منزل هذا الاخير ليكون قريباً من مركز العمل .

2) هناك من سيمتهن خدمة الخماسة أي سيصبح خمّاساً عند الاقطاعيين التونسيين أي يخدم جزءاً من ضيعة الاقطاعي مقابل تحصيله على خمس

الانتاج ولكن يجب ان يمتلك « زوجة » أي ثورين او بغرتين تكونان وسيلة لخدمة الارض إلى جانب المحراث الخشبي .

وهنا تجدر الملاحظة ان الفلاحة بقيت فلاحة تقليدية وحتى الفلاح التونسي الذي يملك ضيعة كبيرة لا يستطيع خدمتها وحده نظرا لاهمية المساحة فيلتجئ إلى الخماسة .

(3) هناك من سيصبح بطّالا وذلك لسببين اما لانه لم يجد حظّه ومكانه من بين الخماسة وخاصة نظرا للحركة التعصيرية التي شهدتها الفلاحة عن طريق المعمّرين الذين جلبوا الآلة العصرية فعوّضت الآلة الانسان التونسي الريفي الذي حرّمه المعمّر الفرنسي الارض وحرّمته الآلة الفرنسية فرصة العمل عند هذا المعمّر الذي لم يعد في حاجة إلى يد عاملة وفيرة .

وهكذا نستنتج أنّ هذا الريفي التونسي الذي وُلد في الرّيف وعاش فيه وعمل فيه قد فقد ملكيّته وفقد فرصة العمل بل أصبح - وهذه هي النتيجة الهامة - مجبرا على أن يغادر هذا الرّيف . وبذلك يمكن القول ان الاستعمار الفرنسي مع الآلة التي تمثل انعكاسا للثورة الصناعية قد حطّم البنية الاقتصادية والبنية الاجتماعية الرّيفية التونسية .

<http://Archivebeta.Sakn>

فهل سيتمّ بناء هذه البنية من جديد ؟ وأين سيتمّ هذا البناء ؟ هذا الشخص الذي فقد الارض وفقد فرصة العمل فأنه سيجبر حتما على الهجرة نحو المدن الكبرى خاصة تونس العاصمة التي سنركّز عليها أكثر من غيرها .

لقد مدّ الاستعمار الفرنسي الطرقات المعبدة والسكك الحديدية وذلك لنهب خيرات البلاد ونقل الانتاج الفلاحي والثروات الباطنية فكانت الطرقات والسكك تمتدّ بين المناطق الفلاحية والمناجم وبين الموانئ لان الميناء هو نقطة الربط الحساسة بين فرنسا الرأسمالية المستعمرة وتونس الوسيطية المتأخّرة المستعمرة . فاستغلّ هذا المهاجر الريفي التونسي هذه الوسائل وركبها نحو المدينة وهو يحمل الامل في ان يجد العمل الذي ربّما سيعوّض له أرضه التي افقده إياها المعمّر وفرصة العمل التي أفقده إياها الآلة الأوروبية وكذلك سيعوّض له انتعاه القبلي .

- وفي المدينة سيتحوّل هذا المهاجر الريفي إلى :
- (1) عامل في الموانئ والرّصيف وفي هذه الحالة ستبدأ الأحياء الشعبية المتواضعة في الظهور .
 - (2) عامل في الإدارات الفرنسية .
 - (3) عامل في المؤسسات الحرة كالمقاهي والمطاعم ...
 - (4) لكن الأغلبية الساحقة من هؤلاء الريفيين الذي أطردهم الرّيف ستتقوّم المدينة لأن هذه الأخيرة غير قادرة على استيعاب كل الوافدين عليها . ففتفتش البطالة فيحاول هؤلاء الغرباء عن المدينة بعدما كانوا غرباء عن الرّيف أن يبحثوا عن أعمال ثانوية كبائع « القليبات » وبائع « الكسكروتات » وماسحي الأحذية وحمالين بالمحطّات وبطالين إذا لزم الأمر .

وان عجز هؤلاء « الغرباء » عن إيجاد العمل فقد عجزوا بالطبع عن إيجاد المأوى والسكن ومن هنا بدأت الأحياء القصديرية بجبل الأحمر والملاسين وبرج علي رايس والقرجومة وغيرها كثير .

وهكذا نستنتج أنّ الاستعمار الفرنسي والثورة الصناعية المتمثلة في الآلة التي جلبها المستعمر قد كانت لهما سلبات كثيرة على المجتمع الريفي التونسي مركز الاستقطاب الاقتصادي والاجتماعي في تونس في ذلك الوقت .

- (1) أولها تجويع وتفجير الريف من سكانه .
- (2) ثانيها تحطيم البنية الاقتصادية المتمثلة في الملكية الجماعية وظهور الملكية الفردية بيد المعمر .
- (3) ثالثها تحطيم البنية الاجتماعية المتمثلة في البنية القبلية .
- (4) عدم قدرة المدينة على بناء البنية الاجتماعية والاقتصادية من جديد فإذا كان الرّيف قد أطرد ساكنيه فإن المدينة قد تقيأتهم فظهرت الأحياء القصديرية علامة التفجير والتبعية والاستغلال .
- (5) وإلى جانب التغريب الاقتصادي والاجتماعي لرجل الريف نذكر التغريب البسكولوجي والنفسي فاختلط الفريسي والعياري والعوني والمثلوثي و ... في حيّ قصديري واحد يجمع بينهم الحرمان والفاقة .

الطب البيطري عند العرب (ماضيا وحاضرا افاق، مستقبل)

(2)

بقلم د . محمد المثناني

حاضر الطب البيطري في البلاد العربية

وفي عصرنا الحاضر ورغم المحطة التي توقف فيها العرب عن الانتاج العلمي الغزير والمتقدم فانهم اخذوا في السير من جديد ليتعلموا ما فاتهم ويهضموه ويساهموا في تقدم هذا العلم ويحملوا المشعل من جديد من خلال الابداعات التي بذروا يسجلونها فهي بداية النهضة الحضارية والعلمية المتطورة في عصرنا الحاضر . وهذا ما نلاحظه في شبابنا من استعداد للمعرفة جعلهم يحرزون على درجات علمية متطورة من أحسن جامعات اوروبا وأمريكا وغيرها من بلدان العالم مزاحمين بذلك ابناء البلاد الاصليين التي تعترف بمقدرة هذا الشباب على الاستيعاب والابداع حيث اصبح لنا أساتذة مبرزون في علوم الطب البيطري بكامل البلاد العربية وكان شعور هذا الشباب بماضيهم وحاضرهم ومستقبل بلادهم لم ينقطع طيلة سنوات الدراسة وهم على مقاعد وفي مخابر جامعات اوروبا وغيرها وهذا مستمد من اصالتهم وطيبة طبيعتهم وغريزتهم في حب العلوم والمعرفة والتأثير فيها مع التطوير المعطردها .

ومن الأمثلة العلمية البارزة في عصرنا الحاضر فيما يتعلق بالطب البيطري الرسائل العلمية العديدة حول انواع كثيرة من أمراض الحيوان ومنها ما أدهش العديد من الجهات العلمية في البلدان المتقدمة وهي اكتشاف

لقاح ضد مرض «البوسفير» الذي يصيب الحيوانات بالبلاد العربية وتم ذلك في أحد جامعات العراق (26) . وكانت هذه الطريقة في علاجه مستبعدة جدا من طرف العديد من العلماء وإن لم يصل استغلالها الى مستوى واسع إلا أنها تبرهن على ما يمكن ان يتوصل اليه العرب لو تجمعت قواهم في ميدان العلوم والتكنولوجيا وغيرها .

افاق المستقبل للطب البيطري عند العرب :

ومن الاشياء التي تبعث في النفس الاطمئنان على مستقبل الطب البيطري عند العرب وبالأخص في المغرب العربي هي بروز عدة جمعيات علمية تعنى بهذا الموضوع وتحاول التنسيق فيها بينها وما بروز مجلة «المغرب للطب البيطري» وهي تعنى بالابحاث البيطرية في بلدان المغرب العربي إلا دليلا على مدى اهتمام الاوساط العلمية بالدور الفعال الذي يخلقه هذا التنسيق والترابط في تطوير الطب البيطري وادخاله في مستوى البحث العلمي الدقيق والمعمق في عصرنا الحاضر . وكذلك التنسيق المتواجد في المشرق العربي دليل واضح على استفاقة العرب للدور الفعال الذي يلعبه هذا العلم حيث اصبحت العديد من البلدان قاعدة عمل للمنظمات الدولية التي تعنى بهذا الموضوع وتنظم دورات نظرية وتطبيقية يساهم فيها أبناء العرب من كل مكان .

واصبحت بعض البلدان العربية تعتبر سدا منيعا في وجه الامراض والابوئة الحيوانية المتأتية من الاماكن المتضررة وهذا دليل على المستوى العلمي الرفيع للاجراءات الوقائية البيطرية المتخذة في هذه البلدان .

ومن الاشياء المستقبلية ايضا التي توجب علينا اعتبارها في مواصلة نظرتنا العلمية وفي ابحاثنا من أجل وقاية الانسان والحيوان هي التعمق فيما يصلنا اليوم من اخبار علمية من كامل انحاء العالم وحول الاستعمالات الجديدة لقواعد التطبيق الحيوي التي تشمل العلاج التجانسي والوخز بالابر وغيرها من العلاجات الطبيعية التي مر عليها البحث مسرعا

(26) ادارة الانتاج الحيواني بنونس - نشرة داخلية - افريل 1983 حول معالجة بوسفير .

وذلك لقلة اضرارها الجانبية والتي قد تحدثها العلاجات الكيميائية المتواصلة .
وهذا لا يعني الرجوع الى الوراثة بل التأمل في ما قد تكون تغافلنا عن
فوائده حيث ان في التأمل والاعادة افادة .

وبعض نواحي هذه الطرق العلاجية التي ذكرتها تضع الطب والعلوم
باكملها من جديد امام تحديات علمية لا بد من التعمق فيها لتحليل مضمونها
وشرح تفاصيلها ولم لا استنتاج قواعد علمية جديدة تغير عدة مفاهيم نعتبرها
الى حد الان ثابتة .

مراجع

- (1) القرآن الكريم .
- (2) الشطر شوكت موفق : تاريخ الطب - مطبعة الجامع السورية والسنوات .
- (3) الجاساظ - الحيوان - مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده .
- (4) كمال حسن - الطب المصري القديم ج 1 - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر 1964 .
- (5) معروف ناجي - أصالة الحضارة العربية - دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة .
- (6) العلوجي عبد الحميد : تاريخ الطب العراقي - مطبعة اسعد - بغداد 1967 .
- (7) الامين محمود - قوانين حورابي .
- (8) الشبيب : د . د . ده حامد - الطب البيطري عند العرب - الموسوعة الصغيرة دار الحرية للطباعة - بغداد 1980 .
- (9) الشيخ حسن عادل محمد علي - مساهمة العرب في علوم الحياة - الموسوعة الصغيرة - دار الحرية للطباعة - بغداد 1977 .
- (10) كحالة عمر رضا - العلوم البحتة في العصور الاسلامية - مطبعة الترقى بدمشق 1927 .
- (11) ابن الحسن عبد الله - جواب السائل عن الخيل الاصائل .
- (12) عبد الرحمان حكمت نجيب - دراسات في تاريخ العلوم عند العرب - مطابع جامعة الموصل العراق 1977 .
- (13) روزنبرغر - فستاف - امراض البقر - الترجمة الايطالية 1975 .
- (14) جاكوتوت هـ - مورنات ب - طاعون البقر - باريس 1967 عدد الناشر 436 .
- (15) البدري عبد اللطيف - الطب عند العرب - الموسوعة الصغيرة - دار الحرية للطباعة - بغداد 1978 .
- (16) ادارة الانتاج الحيواني - تونس حول معالجة مرض بوسفير نشرة داخلية 1983 .

ثَلَاثِيَّةُ الرَّمَادِ

شعر : عبد الله مالك القاسمي

(1) لماذا ... ؟

الآن عرفتُ لماذا الأشجارُ تسيرُ إلى الانهارِ
لماذا الصحراءُ إلى قلبي ترتحلُ
النورسُ يهجرني والحجلُ
الآن عرفتُ لماذا الصَّخْرُ إلى الماءِ يلينُ
لماذا الماءُ يجيءُ....

وَلَا يَصِلُ !

كَمْ تَحْتَمِلُ النَّارُ فُصُولَ الدَّلَجِ
وَكَمْ يَحْتَمِلُ الْعُشْبُ جَفَافَ الْوَقْتِ

وَلَا آخِثِلُ !

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(2) إلى حبيبتي

هاتي خارطة الجرح النازفِ
وانتشري في جغرافيا الجسدِ
ما بين رسوم الدم والكلماتِ
ما بين الأحمر والأحمرِ

ما بين الياء وبين الألفِ
يَفْرُغُ عصفورٌ مبلول الريش يغني
تَبْنِعُ من حجر الليل الأسود غابة أقماعِ
يَطْلُعُ مِنْ صَلْصَالِ البدنِ العاري جُرْجي ونشيدي
ماذا سيقول دمي للعصفور يغني...
للاقماعِ ، لصلصال البدن المنحل هنا ؟
ماذا سيقول دمي للشهداء ؟

(3) إلى محمد القيسي (1)


في مقهى أفريقيا
نجلس كل مساء
نصمت أو نهذي
نمشي في الشارع
نضحك أو نبكي

..ثم نمر

تسمعنا الطير فتزول
تسرق منا أغنية وتفر

...

لا ندري أي زمان سيجيء
وأي رماذ سيغطي مزاة الوقت
لا ندري أي ثلاثاء (2) سيوحدنا
أي دم سيضيء..

هل كنا نحمل هذا الوجع الغابت في قلبينا حجرًا
أم كنا نحمل هذا الحزن الطالع في كفيينا شجرًا...؟! 

حيفاً أعرفها الآن

دمها مرسوم في « حمام الشط »
وذمي في « حيفا » يسألني عن نجم

في البحر
سقط

الآن فقط

أعرف أن دمي مشتبك بدمك
أعرف أنني كنت معك .

تونس 2 / أكتوبر 1985

(1) محمد القيسي : شاعر فلسطيني يقيم مؤقتاً في تونس .

(2) إشارة إلى يوم الثلاثاء 1 أكتوبر 1985 ، تاريخ الغارة الاسرائيلية على حمام الشط / تونس .

تاريخ سليانة حسب وجهة نظر الذاكرة الشعبية

اعداد : عمار الزريبي

قبل تحديد وإبراز تاريخ سليانة من وجهة نظر الذاكرة الشعبية ، لا بد من القول باني سعدت كغيري من أبناء سليانة بميلاد مجلة الاتحاد المتخصصة في شتى ضروب الثقافة والفنون . لأن ميلاد هذه المجلة ملا فراغا طالما اشتكى منه الشباب ، وجموع المثقفين بالجهة ، الذين وجدوا فيها منبرا فسيحا لإبراز ابداعاتهم الفكرية والفنية ، ولو اني احترز هنا على حصر كلمة « ابداع » في المجالات الثقافية فقط في حين ان الفلاح يتجاوز مرحلة الابداع إلى الخلق عندما يعصر ويطور اساليب العمل الفلاحي ويسخر أقصى ما توصل إليه العلم في تحقيق الانتاج والانتاجية على مستوى النوع والكم ، وكذلك الصانع والتاجر والحرفي ، فهم أيضا يصلون في عملهم إلى مرحلة الابداع والخلق .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ورغم سعادتي المفرطة بميلاد « مجلة الاتحاد » التي نعلق عليها جميعا الآمال العريضة ، وخاصة على مستوى دعم وتنشيط الحياة الثقافية والفكرية بالجهة ، إلى جانب أخذها بأيدي المبدعين الشبان ، وجمع التراث ، وتحقيق تاريخ الجهة الذي بقي لحد الآن مجهولا حتى لدى أهل الذكر والمختصين .

قلت رغم سعادتي المفرطة بصدر مجلة الاتحاد ، لم أحاول حتى صدور العدد الثالث منها الكتابة فيها ، لا لبخل مني وإنما لأنها كما قلت ، مجلة متخصصة في مجالات أجد نفسي بعيدا عنها بعض الشيء ، ولذلك خيرت ان أبقى فقط من المولعين بها على مستوى المطالعة والدعاية ، الا ان ما أثير أخيرا خلال اشغال الندوة المحلية الاولى لبلدية سليانة المنعقدة يوم 14 فيفري 1986 من توجيه إلى تكوين لجنة تضم بعض المختصين في التاريخ والآثار والفنون المحلية والاقتصاد وعلم الاجتماع لاعداد بحث علمي حول خاصيات مدينة سليانة التاريخية والحضارية والمعمارية والاقتصادية

والاجتماعية ، دفعني إلى جمع وأعداد ما علق بالذاكرة الشعبية من افتراضات عن تاريخ سليانة القديم ، أعتقد انه مزيج من حقيقة وخيال ومع اني لا أملك القدرة على الفصل بين ما هو حقيقة وما هو خيال ، فاني أجد لنفسي أكثر من دافع وأكثر من مبرر للكتابة في هذا الموضوع ، علني أضع بذلك مدخلا قد تقبله منهجية البحث العلمي ، الذي ستعده اللجنة المقترح تكوينها خلال الندوة المحلية الاخيرة لبلدية سليانة .

مدلول كلمة سليانة

في الذاكرة الشعبية أكثر من فرضية لمدلول كلمة سليانة .

أ - الفرضية الاولى : تقول سميت سليانة لان أرضها « سليان » قليلة الخصوبة والعطاء ، الا ان هذه الفرضية مردودة ، فأرض سليانة عبارة عن سهل خصيب يضم شبكة من الاودية ، ويحتضن طاقات مائية هائلة ، وينتج كل أنواع العناصر الفلاحية التي كثيرا ما تسجل انتاجا يتجاوز الأرقام القياسية المعتادة .

ب - الفرضية الثانية : تقول ان المكان سمي سليانة لانه معبر لمجموعة من الاودية الدائمة السيلان ، الا ان هذه الفرضية وان كانت من جهة شبه مقنعة لانه وان وجدت بالمكان فعلا مجموعة من الاودية الدائمة السيلان مثل وادي « مصوج » ووادي « الأخماس » ووادي « تمریت » ووادي « اوزافة » ، فان هذه الفرضية مردودة ايضا لانها لو كانت صحيحة لكان يجب ان تسمى سيلانة لا سليانة .

ج - الفرضية الثالثة : تقول ان كلمة سليانة هي في الاصل « سليانوس » ، وهذا التفسير حسب اعتقادي هو الاقرب إلى الحقيقة ، لانه إلى جانب وجوده بالذاكرة الشعبية فقد أطلعت شخصا على كتاب يؤكد هذه الفرضية ، ففي ربيع سنة 1968 ارتأت اللجنة التحضيرية لاعداد أسبوع التنمية بمعتدية سليانة اصدار نشرية بالمناسبة تعرف بخاصيات الجهة التاريخية والاقتصادية والاجتماعية ، الا ان اللجنة اعترضتها بعض الصعوبات عند اعداد الجانب التاريخي ، لعدم وجود مراجع يمكن اعتمادها في ذلك ، وكان من بين الحاضرين المرحوم الدكتور الهادي اللعلاعي الذي

أفاد بان بمكتبته كتاب يتحدث عن تاريخ سليانة ، وبجلب هذا الكتاب والاطلاع عليه تبين ان جانباً هاماً منه قد اُتلف بحيث لم يقع التوصل إلى معرفة مؤلفه ولا التاريخ الذي كتب فيه ، الا ان هذا الكتاب يتضمن بعض الفصول التي تتحدث عن بعض مناطق الشمال التونسي .

ومما جاء بالفصل الخاص بسليانة ، انها تحريف لاسم سليانوس ، الذي هو أمير نوميدي ، كان يتولى في عهد يوغرطة امارّة منطقة فرنة الواقعة بين برقة وقفقر ، والتي مازالت اثارها النوميدية بادية للعيان لحدّ الآن ، وسليانوس كان كغيره من أمراء ذلك العهد المشحون بالحروب والثورات ، يسعى بين الغينة والاخرى للاختلاء بنفسه ، هروبا من متاعب الحكم وهموم السياسة ، لذلك بنى على الضفة الغربية لوادي سليانة على بعد كيلومترين ونصف جنوب مدينة سليانة الحالية منتجعا يحتوي على قصر وحمام مازالت اثاره موجودة تعرف بـ « قصر حديد » ويقال سمي كذلك لان حجارته الضخمة التي بُني بها يشبه لونها لون الحديد .

وكان الاعتقاد المسائد حتى سنة 1984 ان سهل سليانة لم يشهد أصلا عبر العصور البربرية والقرطاجية والرومانية أي حركة عمرانية ، فهو كان عبارة عن حقول للنشاط الفلاحي المتواجد بالمدن البربرية ثم القرطاجية ثم الرومانية التي كانت توجد بمرتفعات جامة والمغينة وبسفوح جبال المريج ومزاته .

كما ان الذاكرة الشعبية تقول بان سهل سليانة كان مسرحاً لآخر معارك قرطاج بقيادة حنبعل ضد روما .

الا ان الاعتقاد الذي كان سائدا حول خلو سهل سليانة من أي حركة « عمرانية » عبر التاريخ القديم قد زال سنة 1985 باكتشاف معالم أثرية قرب المعهد الفني وقد بادرت البلدية والمندوبية الجهوية للثقافة بمنع مواصلة البناء بهذا المكان والاتصالات جارية الآن لتحديد هوية هذه المعالم الاثرية ، التي ربما تكون منطلقاً للبحث عن الحقيقة عبر تاريخ سليانة القديم .

حول النظام التربوي في تونس

المختار علي

لا شك أن التربية هي من أصعب الأشياء تطبيقا خاصة وهي تفترض التعامل بين نمطين من البشر لا يمكن أن يكون التفاهم بينهما بنفس المقدار ولا يمكن أن يكون التجاوب ممكنا بصفة مطلقة . إذ من يقول « تربية » يفترض أساسا عنصرين هامين هما المربي والمربي يصعب على الطرف الثاني ؛ بحكم إمكانياته العقلية أن يفهم كل الفهم ما يريد أن يبلغه له الطرف الاول ، نظرا للفرق الشاسع بينهما في السن والزاد الثقافي . كما أنه ليس دائما ممكنا ، بالنسبة للطرف الاول أن يفهم بكل يسر نفسية الطفل حتى يمدد بالزاد الثقافي والعلمي والتربوي الكفيل بالنهوض به والارتفاع به إلى المستوى المطلوب . وهنا تكمن الصعوبة المسيطرة على ميدان التربية خاصة وأن الانسان كائن عسير الفهم حتى على نفسه فما بالك بفهمه من طرف الآخرين قضية معضلة ظل الفلاسفة ورجال التربية يبحثون عن حلها منذ العصور الاولى . لقد كان الفلاسفة يبحثون الناس على معرفة أنفسهم قبل كل شيء « اعرف نفسك بنفسك » كما تناول الدين الاسلامي الحنيف هذا الموضوع بكل جدية فوصلتنا عدة نظريات في التربية نذكر منها ضرورة التوفيق بين العمل الجاد والترفيه على النفس « روض النفس ساعة بعد ساعة فإنها إذا كلت عميت » ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال في كيفية تربية الطفل « داعبه لعشر واستصحبه لعشر ثم ألقي بحبله على الغارب » فنلاحظ أن هذه المراحل في سن الطفل وما يجب أن يعامل به فيها تنطبق تماما على مراحل التعليم الثلاثة : ابتدائي - ثانوي - عال . ولكل مرحلة من مراحل التعليم أسلوب خاص في تربية الطفل يصعب كما سلف ذكره حصر معاملة بالضبط . هذا ما جعل رجال التربية ، ولأحقاب طويلة ، يبحثون عن الطرق الناجعة لمعرفة نفسية الطفل حتى يمكن التعامل معه بحكمة وحتى يمكن الوصول به إلى الغاية المنشودة .

ثم إنه كلما تقدّم المجتمع كلما كان التفكير في تغيير النظم والمناهج التربوية ملحا ومطروحا بحدّة إذ ما يصلح لمجتمع ما قد لا يصلح لمجتمع آخر على درجة من التحضر . وكلما كان التلميذ صغير السن كلما كان عدم التفاهم بينه وبين المرّبي أمرا بديهيا يجعل هذا الأخير في حاجة إلى طرق بيداغوجية أكثر متانة .

- وفي هذا الإطار يندرج الموضوع الذي نحاول تناوله بالبحث خاصة في مرحلة التعليم الثانوي .

فالانظمة التربوية بتونس وبغيرها من البلدان ، وتبعاً لما سبق ذكره لا يمكن لها أن تكون مستقرة ثابتة لا تتغير ، لأن تطور مجتمعنا يجعل حاجيات أبنائنا . في ميدان التربية ، غير مضبوطة خاصة في مرحلة الطفولة وعلى الأخص في مرحلة المراهقة ، إذ لكل هذين المرحلتين معيزات يعسر على المرّبي فهمها بوضوح تام ، ومن هذا المنطلق كان لزاما على رجال التربية أن يضبطوا الطرق التي تكون أقرب ما يمكن إلى النجاعة لتربية النشء التربية الصحيحة - ونتيجة لهذا كانت التجارب التربوية متعاقبة جزئيا أو كليا غير أننا قد لاحظنا منذ فجر الاستقلال إلى الآن ظهور نظامين من التربية الطرقت فيهما مختلفات وإن كانت الأهداف قد سمها تغيير بسيط نظرا لتوجهات البلاد وظروفها الاقتصادية التي تقضي منا الانكباب على العلوم الصحيحة والتكنولوجية أكثر من العلوم الانسانية وذلك حتى يمكننا النهوض ببلادنا والارتقاء بها إلى مرتبة الدول المتحضرة بالمعنى الكامل .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو « لماذا غيرنا نظامنا التربوي ؟ وماذا حقق لنا النظام الجديد ؟ »

للإجابة على هذا لا بد لنا من عرض خصائص كل من المرحلتين من حيث الإيجابيات والسلبيات .

فقد كانت أهداف التربية في أول عهدنا بالاستقلال نشر التعليم لتثقيف أكثر عدد ممكن من المواطنين كما كان المسؤولون يحرصون كل الحرص على التكوين السريع قصد إعداد الأطار اللازم لتسيير شؤون الدولة في مختلف الميادين .

ولعل هذا ما يفسر لنا الشدة التي اتسم بها النظام القديم في معاملة النشء غير أن هذه الشدة قد أدت في بعض الحالات الى كبت رغبة التلميذ في طلب مزيد المعرفة مما جعل إمكانات النجاح غير متوفرة لديه بالقدر الكافي وكانت لهذه النتائج انعكاسات سلبية على المجتمع الشيء الذي جعل المسؤولين يفكرون في وضع نظام جديد يضمن للطفل أكثر حظوظ النجاح في تكوين شخصيته .

أما نظام الامتحانات فقد كان إيجابيا من حيث إجباره للتلميذ على البقاء بالمعهد أطول مدة ممكنة غير أنه لم يبرهن عن نجاعته في خصوص تقييم المستوى العلمي للتلميذ إذ كان للصدفة دور كبير في تحديد مصير البعض ونتيجة لهذا افتنع الجميع بضرورة تغيير النظام التربوي فتطورت السياسة التربوية شكلا ومضمونا إذ حذفت بعض شعب التعليم الثانوي واستبدلت بشعب جديدة تستجيب لمتطلبات الحياة واتجهت العزائم إلى تدعيم الشعب العلمية والتقنية نظرا لأهميتها في حياة الشعوب التي تطمح للرفق إلى مستوى الدول المتقدمة التي تبين أن سبب سيطرتها على الاقتصاد العالمي راجع أولا وقبل كل شيء إلى اهتمامها بالعلوم التقنية التي لا يمكن لأي شعب في عصرنا الحاضر أن يستغني عنها .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كما أن التغيير الذي حصل قد مس كل نواحي التربية والتعليم بما في ذلك طرق معاملة التلميذ وكيفية ترشيده وكذلك نظام الامتحانات الذي استبدل بنظام المراقبة المستمرة .

ومن محاسن هذا الإصلاح نذكر خاصة ما وفره للتلميذ من فرص عديدة جعلته يتدارك أمره بسهولة إذا ما رغب في ذلك : غير أنه لم يحقق النتائج المرجوة على مستوى المعرفة على الأقل خاصة إذا ما علمنا وأن الدرس الواحد لا يمتحن التلميذ فيه مرتين وأن الامتحان في نظام المراقبة المستمرة ، يكون دائما مستعدا من الدروس الأخيرة مع الاعلام المسبق .

هذا النوع من الامتحانات جعل بعض التلاميذ ينجحون إلى البحث عن الحيل في بعض الحالات للهروب من بعض الفروض الكتابية خاصة إذا ما تحصل التلميذ على نتيجة طيبة في امتحان ما وشعر بعدم قدرته على تحقيق

نفس النتيجة في الغرض الموالي . وفي هذه الحالة فإنه إما أن يتغيب ويبرر غيابه بشهادة سلبية أو أن يعتمد في بعض الحالات إلى مخالفة النظام بصفة واضحة ومقصودة حتى يعاقب بالرفق المؤقت ليكون غيابه مبررا وبالتالي فإنه لا يسند له صفر في الغرض المتغيب عنه .

ولا يخفى على أحد الخطورة التي يشكلها هذا الجانب على الحياة المدرسية وعلى النظام الواجب اتباعه فيها .

ظاهرة أخرى يجب معالجتها بكل جدية وهي تقلص مدة الدراسة التي أصبحت تسير إلى الوراء بصفة يتألم منها الجميع مسؤولون ومربون وأولياء ، ففي أول عهد التلاميذ بهذا النظام كانت الانقطاعات عن الدراسة ، في نهاية السنة الدراسية ، تبدأ بعد العاشر من شهر جوان أي قبل نهاية العام الدراسي بأيام قليلة ثم أصبح شهر جوان مدة عطلة في عرف التلاميذ دون أن يصدر في ذلك أي قرار رسمي بل رغم التعليمات الحازمة التي تذكر بها وزارة التربية القومية في الوقت المناسب لتؤكد على ضرورة تواصل الدروس بصفة عادية إلى نهاية السنة الدراسية . رغم كل هذا فإن الانقطاعات متواصلة بصفة مبالغ فيها إلى درجة أنها أصبحت تبدأ منذ الأسبوع الأول من شهر ماي ، في بعض المعاهد الثانوية ، وهو أمر يدعو بلا شك إلى البحث عن حل عاجل لوضع حد لهذه الظاهرة ذات الانعكاس السيء على تكوين ناشئتنا ومن هنا يتبين لنا أن النظام التربوي المتبع حالياً يتسم بالمرونة المبالغ فيها أحيانا والتي لم تقدر حق قدرها فأدت في بعض الحالات إلى التسبب والجرأة السلبية والفوضى أحيانا الشيء الذي جعل الولي غير مطمئن على مصير ابنه إذ أن إمكانيات النجاح ، والحال على ما هي عليه ، قد تضاعلت بصفة ملحوظة .

وهكذا يتضح لنا أن النتيجة تكاد تكون واحدة في التجربة الأولى أو الثانية . فكل هذه الطرق المتبعة قد تؤدي في نهاية الامر إلى خلق جيل لا يستجيب بالقدر الكافي لاهداف التربية في بلادنا . لذا فإنه من الواجب في الوقت الحاضر التفكير بكل جدية وبكل عمق في وضع نظام تربوي جديد يضمن نجاعة أهداف التعليم لخلق الشخصية التونسية المنشودة . وعلى المربين الذين يهمهم الامر بالدرجة الأولى ، أن يبحثوا عن ملامح نظام

تربوي جديد وذلك بمشاركتهم في لجان التفكير التي تبعتها وزارة التربية القومية من حين لآخر .

وأعتقد أن اصلاح الاوضاع الحالية تستوجب الرجوع بالعدل إلى ما كانت عليه في الستينات أي عطلة في نهاية كل ثلاثية إذ اتضح أنه ليس هنالك فائدة من تعدد العطل بل بالعكس فإنها بالصفة الحالية تباغت التلميذ وتضيع عليه فرصة الاندماج الكلي في الحياة المدرسية فتمنعه أحيانا من الانكباب بالقدر الكافي على مزاولة دراسته . كما إنه من المفيد جدًا مواصلة العمل على الحدّ من اكتظاظ المعاهد الثانوية وذلك بفتح أكثر من معهد في البلدة حتى نتجنب « المعاهد التكنات » لما تسببه من مصاريف باهضة خاصة بمبيلاتنا الكبيرة التي لا يشك أحد في أن الالتجاء إليها انما هو للضرورة

أما في ما يخص نظام الامتحانات فإنه يستحسن الابقاء على نظام المراقبة المستمرة واطافة امتحان اخر السنة يكون موعده في شهر جوان .

وأعتقد أن الفروض التأليفية التي قررتها الوزارة في هذه السنة هي خطوة نحو إصلاح نظام الامتحانات في التعليم الثانوي ستكون لها بلا شك نتائج إيجابية .

كما أنه من الضروري في رأيي إعادة النظر في الاجراءات التأديبية حتى يتسنى لنا انقاذ هذا الجيل من التهور والتعنت والجرأة السلبية وبالتالي الضياع خاصة وأن الاجراءات المعتمدة حاليا قد أصبحت غير ناجعة بالمرة . ولعله يكون من الضروري أيضا في هذا المجال العمل على تدعيم إطار القيمين وجعل عددهم يتطور بنسبة تطور عدد التلاميذ في المعهد حتى لا يجد الطفل مجالا للانحراف وسوء الخلق التي قد تصيبه خاصة وأن سياسة التسيير الذاتي لم تعط نتائجها نظرا لعدم ملاءمتها لمجتمعنا من سوء الحظ وإن كانت أهدافها التربوية نبيلة ومقاصدها محمودة لكن نجاح تطبيقها يحتاج إلى تحضير أرضية قابلة للاستفادة منها .

دَعِينِي ..

شعر : الهادي عبد الملك

تداعى هواك الكبير تداعى
وقد حان لي أن أقول وداعا
فما نفع أن نلتقي كل يوم
نمارس عبر العيون الضياع
ونصمت ، نصمت في كبرياء
فتزداد فينا الجراح اتساعا
دعيني فأنت صداغ برأسي
يعذبني ، هل عرفت الصداغ ؟

إذا مرة أخبروك بأني
لغيرك أصبحت أشدو ، أغثي
فلا تأسفني يا حبيبة أمس
ولا تدعني أن هذا تجنُّ
ولا تزعمي أن عمري سيذوي
وقد كان يوما كروض أغنُّ
فأكبر من كل شيء طموحي
وأروع من سحر عينيك فثني

عبرت عبور السحابات صيفا
فكيف الخلود تريدن كيف ؟
لقد جاء حبك ذات صباح
فدللته حين أقبل ضيفا ..
ولكنني أرفض الحب زيفا
فهل تقبلين المحبة زيفا ؟
دعيني وسوف تظلين ذكرى
تعاودني .. ستظلين طيفا ..
هـ . ع . م

أين الرضا ؟

شعر عبد الستار الهاني

بين السعادة والشقاء صراع
ان منه ضرّ توجّع صارخا
من نال خيرا مل من تكراره
واذا استبدت بالفقير همومه
فاعجب لاسرار النفوس تخالفت
هذا هو الانسان يألم دائما
ينصبّ يجري للشقاء كأنما
فاذا أغيص النمل في أحشائه
واذا نصحت له بخطو ثابت
واذا سكّ تراه حتّى يشتكي
لا خير في الانسان ان لم يهده
ان المطيع يقاد ركب مسيره
وينور الايمان من آفاقه
لا شيء يشغله ويثلج صدره

يتداولان المرء فهو مشاع
أو حاز خيرا هزه استمتع
ورأى السعادة حازها الجيع
فهي النيوب تفيضهن سباع
حتى كأن عدوها الاجماع
يهوى التقلب مارد ضراع
جذبته منه أصابع وذراع
تصنى بحرّ شكاته الاسماع
فهو العنيد برأيه الصداع
أين التصيحة أيها الاشباع
خوف مكين زاجر رذاع
لسعادة ما بعدها استزاع
فالقلب راض ليس فيه ضياع
غير القبول اذا أطلّ وداع

الاتحاد مجلة الجميع

تلم شمل الادباء المبدعين

تأخذ بأيدي المبدعين الشبان

الحلقة المفقودة في مجتمع اليوم

بقلم : محمد التهامي الحمادي

اننا نفهم الحرية الفردية فهما سينا متطرفا ، ونفهم المسؤولية الاجتماعية فهما ناقصا محرفا ، الدولة عندنا هي المسؤولة عن كل شيء ، هي التي يجب عليها أن تتعقب المذنبين وان تتولى عقوبتهم ، فإذا لم يصل اليها نبأ الجريمة ، أو لم تصل هي الى كشف معاملها ، أو كانت مما لا يعاقب عليه القانون كأفعال القلوب مثل الحسد والحقد والكبرياء ونكران الجميل والاساءة الزوجية ، تركنا نحن صاحبها آمنا مطمئنا يلاقي الترحيب والتكريم الذي كان يلاقيه من قبل ، وتركنا كل فرد يسير سيرته الاولى غير شاعر بمسؤوليته إزاء الآخرين ، ولا حاسب حسابا لموقف الآخرين من سلوكه ، سلوكه ، وهذا عقد منفرط لا ينظمه سلك واحد ، وجسم مفكك عن سلوك الآخرين ولا حاسب حسابا لموقف الآخرين من سلوكه ... عقد منفرط ... لا ينظمه سلك واحد ، وجسم مفكك ... لا يهيمن عليه روح واحد .

اتدرون ما هذا الروح الواحد الذي يجب ان يشود ويهيمن على المجتمع ، انه الوعي العام الغيور المتيقظ الحارس للقيمة المعنوية في الجماعة .

ان ها هنا سر الشفاء وحقيقة الدواء ، أما ما وراء ذلك من دعوة الداعين وارشاد المرشدين ، فليس في جملته الا تلطيفا وتسكينا وقتيا لبعض جوانب المرض ، ذلك أن الذين تنتفتح اسماعهم وقلوبهم لهذا الارشاد انما هم الصالحون الخيرون وقليل ما هم . وان الذين تنطبع به مشاعرهم وتتحرك به عزائمهم من بين هؤلاء القليل ، هم أقل القليل ، أما السواد الاعظم من المستمعين فانهم متى انصرفوا الى شؤون الحياة في البيت او في الطريق ، في المدرسة أو في المعمل ، في الاندية أو في السوق ، في المصانع او في المزارع فانهم سرعان ما ينسون لانهم لا يهجدون في بيئة منها وازعا ولا نازعا ولا مذكرا ولا محذرا بل يجدون فيها من ضروب الاهمال والتهاون الالهي ، ما قد يغريهم بالعبث او الاجرام .

هكذا تهدم الجماعة في ساعة ما تعب في بنائه القادة والمصلحون وهكذا تكون الجماعة هي التي تمهد السبيل لابنائها أن ينفقوا مواقف الاثم والبغي ، وهي التي تقودهم في النهاية الى اسوأ العواقب .

نحن إذن في حاجة ملحة الى ايقاظ هذا الضمير الاجتماعي في الامة لا عن طريق الدعوة والموعظة فحسب ، بل عن طريق عملي جدي ، نحن بحاجة الى تكوين راي عام اخلاقي له نفوذه واحترامه في نفوس كل الافراد ، بحيث يشعر كل امرئ ان اساءته دقت أو . جلّت . سلاقي جوابا سريعا علينا في سلوك المجموع بازائه ، اننا نريد ان يشعر كل باغ على حق وغيره وكل خائن لامانته ، وكل مضيع لواجبه وكل خارج عن الاداب في صورة من الصور - نريد أن يشعر بأنه قبل أن يأخذہ القضاء وقبل أن يواجه التحقيق ستصوب نحوه جهازاً مهام النقد والذم ، وسيذوب وجهه خجلاً تحت نظرات السخط والمقت ، وسيحرم من عطف المجتمع ومعونته وانه لن يتبسم في وجهه احد ، ولن يبادلہ التحية احد ، وانه سيعيش مهجوراً منبوذاً حتى يراجع نفسه ويعدل من سيرته .

هل أتاكم نباُ الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج هو وأصحابه الى الجهاد في غزوة تبوك ، في سفر شاق طويل وفي إبان القَيْظ الشديد ، فلما عاد من السفر وسألهم عن سبب تخلفهم صدقوه الخبر ، واعترفوا له بأنهم لم يكن بهم مرض ولا عوز ، وكان كل ذنبهم أنهم طال بهم التجهيز للرحيل حتى فاتتهم القافلة ... وهم : كعب بن مالك ، وهلال بن امية ، ومرارة بن ربيعة ... اتدرون ماذا فعل بهم القائد الحكيم . لقد امر المسلمين ان يجتنبوهم . بل اعتزلهم اهلهم ونسأؤهم ولبثوا على ذلك خمسين يوماً وليلة ، حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، وضاقت عليهم انفسهم ... ثم تاب الله عليهم بعد أن انصهرت قلوبهم بهذه المقاطعة الشاملة التي كانت ، أنكى فيهم من حد السيف ... ونزل في حقهم قول الله تعالى : «وصلّ عليهم إن صلواتك سكن لهم» . لقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامهم حتى يقضي الله في شأنهم وهذا هو طراز التربية الجماعية الناجعة الذي نريد أن نترسم منهاجها ، وتلك هي «الحلقة المفقودة» التي لو وضعناها في مكانها من جهاز حياتنا العامة لاستراح المجتمع وكاد لا يبقى

بيننا ظالم ولا مظلوم . ان مفتاح الحل بيد المجتمع نفسه هو ان يحاول افراده ان يكونوا يدا واحدة في الصراحة بالحق ، يبدأون ببذل النصيحة بالحسنى لكل من زلت به قدمه ، فيذكرونه كلما نسى وينهونه كلما غفل ، حتى اذا عاود وعاند ، اشعروه باعراضهم وحرموه بشاشة وجوههم حتى يفيء الى امر الله ان هذه المقاومة السلبية الادبية ، هي معنى تغير المنكر بالقلب لمن عجز عن تغييره باليد واللسان هي التي صدر فيها النطق النبوي الحكيم بأنها هي اضعف درجات الايمان اننا ان قمنا اليوم بوضع حجرها الاساسي فتحنا فتحا مبينا في تدعيم نهضة المجتمع ، والتعجيل بانضاج ثمراتها المباركة .

المنظمة القومية للطفولة التونسية

المصانف والجولان



المكتبة الجهوي سليانة
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

رحلات الى داخل الجمهورية .

رحلات الى الخارج لغائدة الاطارات واحباء المنظمة .

مصانف للاطفال داخل الجمهورية .

مصانف للاطفال خارج الجمهورية .

العمر من 7 الى 14 سنة .

امتيازات خاصة للمتمتعين بالضمان الاجتماعي .

المقر : شارع الجمهورية، سليانة

الهاتف - 70.150 (08)

1 - محمد اليحيائي

بقلم : عبد القادر الهاني

هو محمد بن الحاج بلقاسم بن محمد بن الحاج مسعود ، مغربي الاصل ، لقب باليحيائي نسبة للمكان الذي استقر به ، واتخذ موطناً له وابنائنه من بعده ، وهو « دير أولاد يحيى » من احواز ربع اولاد يحيى (معمدية برقو حالياً) قدم جده محمد بن الحاج مسعود من المغرب مع أخيه عمارة ، العالم الفقيه ، الذي تولى القضاء بمدينة القيروان .

لما توفي جده ترك والده بلقاسم ، فكفله عمه القاضي عمارة ، وسهر على تربيته وتعليمه ، ثم زوجه امرأة من أسرة ببهرة (ولاية الكاف) فانجب منها محمداً شاعرنا حيث حرص على تعليمه ، ولما حفظ القرآن وشيئاً من الحديث أرسله الى جامع الزيتونة بالحاضرة لتحصيل العلم ، وهناك اشتهر بترتيل القرآن الكريم وأداء المدايح الدينية ، فكان الناس يتسابقون للاستماع اليه بمناسبة الاعياد الدينية وغيرها ، ثم ما لبث أن وجد في نفسه ميلاً لقول الشعر والتغني به في الافراح العائلية كحفلات الزفاف والختان وغيرها ، وقد شجعه على التمادي في ذلك ، تهافت الناس على الاستماع اليه استمتاعاً بعبودية صوته وجمال أدائه ، وحسن نظمه ، ثم انقطع عن الدرس ، وعاد إلى موطنه بدير أولاد يحيى ، فاشتغل بالفلاحة مهنة وقول الشعر والتغني به هواية ، وظل على هذه الحال إلى أن وافاه الاجل المحتوم في جويلية 1940 عن سن تناهز الستين عاماً ودفن بالقيروان على عادة أهالي تلك المناطق في ذلك الوقت.

لم يبق من شعره إلا النزر القليل من حفظ ابنه الوحيد الشاعر عمر بن الحاج وفي الاغراض المعهودة من شعراء عصره : وصف الحبيبة ، لوعة الفراق ، وصف الطبيعة ، وصف الفرس ، الاشادة بالشجاعة والكرم والعفة ... ولعل اطرف ما وصلنا من شعره ، القصيد الذي خصصه للحديث عن أرضه مسهباً في ذكر حدودها ، وتتجلى هذه الطرافة في وجهين :

الوجه الاول : ان الفكرة في حد ذاتها جديدة لم يسبق اليها غيره من الشعراء الشعبيين فيما أعلم وأعني فكرة تخصيص قصيد كامل لذكر حدود ملك عقار .

الوجه الثاني : ان هذا التوجه كان داعيا لذكر اسماء كثيرة من البقاع والأماكن ، والأسر ومقامات الأولياء وكرامات الرجال الصالحين ومكرمات الأفاضل من الاعيان الشيء الذي يبوئ هذا القصيد مكانة مميزة ترفعه الى مستوى الوثيقة التاريخية والجغرافية ، والاجتماعية انه - دون ريب - قصيد مهم جدا لكل من رام القيام ببحث تاريخي أو جغرافي أو اجتماعي في الجهة وبالتحديد في معتمدتي سليانة وبرقو، وهذا هو القصيد :

الحيـاوي حيس بلاذ بالكـار بعد امانو لا يجي واحد بهبار
الحيـاوي حيس بلاذ قداش بعد امان ما يجي واحد فياش
يلق حُكم متصاعبا مانجنمهاش يتكر ويروح يرجع في مشوار
يتكر ويروح ويرجع في الحين يلقي حكم متصاعبا والسور حصين
يجي يخدم حلات ما بلقاش وبين حاجة صعبة عليها عليها لفكار
حاجة صعبة تعجز عليها لعقول

باسم الله نستفتحـو نرتب هالقول نجيب أمانا معاهم زوز عدول
باش نجب نظهر حدود العقار باش نجب نظهر حدودي بابيان
جبل برقو قبلتسي م البعبعب نجيب راس الفلة مع عين بوعيان
من ثمة مستحدرو انبات في الفار انباتوا مباتة باهية نباتو في خير
الصبحه ناخذو لنن م الشيخ سيدي مطير ونشقوا الزيتون نلف مريـر كبير
ثنية كبيرة شاهرة صنعة كفار

ثنية كبيرة شاهرة خدمها فرنسيس نمتي معاها مقابلة نخم وانعيس
نقصد دشرة عاليه سماها بوتيس فيها جماعة مخير رجاله كبار
فيها جماعة مخيره حجاج ملاح شهدولي بالمعرفة من غير مزاح
هاك الحد الشرقي نمشي معاه براح لنـي غيب متكاثرا صنوبر واوعار
لني غيب متكاثرة صنوبر بطوال ك ميـرت الحد جاب قرين غزال
تلفت لأضهرتسي حذي مزال نقصد قبة عالية زيد إلـ يشهار
نقصد قبة عالية اسم سيدي زيد نقر ثم الفاتحة مانيش زهيد
هذا البرامة يُظهِر رواقيب كبار هذا البرامه نظل نترقب ونشوف
حذي روس العلا وبسنت من جوف عرضني حرم الشيخ الحاج عرفة معروف
زاويث متمميا تحيها الزبار

غنيت فيها قبل ناي في لعراس
سيدي عرفه ييات والبع بالتكرار
بقيت بالخير ، قَلِي في لمان
اراضي مشقلب حجرها يصفار
امشي معاها مقابل إذا كنت عريف
سيدي عمارة البهلي سيدم الخرار
هُ ظاهر مشهور وامقامو ينعات
نختمها بالفاتحة ام الاسوار
وانزيد القدام راو الحال ازيان

★ ★ ★

لني برج مشيدا تعجب تضمار
بيت خليفة شايدا من قبل زمان
واذا انكذب انشد الناس الحضار
بيت خليفة والعة بركوب الخيل
واركابات مذهبة ديسر مع اعضار
نا تو مزروب اتبقوا بالخير
عقيت ومو مقريج فيها اصطار
كي زنا القدام طلعنا اراس اظهر
كرم وزيتون يطعم بالاثمار
كي زنا القدام طلعنا الراس عنان
واراضي مستحسن للحراث خيسار
نا راني نشاد على حسونة بحاث
ماي زاوية تطعم الليل مع انهار
ينزل ثم ييات متكفي شعبان
واذا انكذب انشد الناس الحضار
الله ينفعنا بركتو بجاه المختار

اولاد حماده ملاح واش عندك ما نقول
يقر كلام الله كبار مع اصفار
نا راجع للحد مستعجل زارب

زاويث متسميا تزور فيها الناس
مل زاوية باهية ما ليها قياس
سيدي عرفة ييات والبع بالقران
كيف رجعنا لحدنا اتي كان زمان
اراض مشقلب فيها صراصيف
لذني بمقام كيف الشامي نظيف
سيدي عمارة البهلي سيدم السادات
نستعوذ م الشيطان ونقر ايات
نختمها بالفاتحة ام القران

اتلفت الظهري تظهر بنيان
لني برج مشيدا تعجب نزيان
هم راس اولاد عون والكل شجعيان
هم راس اولاد عون والكل امداليل
نهار النوب يخرجو سروح وتكافيل
اركابات مذهبة واكتاوي حريير
طلينا على بقعة هاي ظهرت مزيرير
عقة ومو مقريج وصطار حجر
طلينا على سجة قبلة دار عمر
كرم وزيتون جي علجالت واحد
ثم بقعة ملقب بكيدة معاذ
اراضي مستحسن لحراث المحراث
ابو سيدي احمد غوث م لغوث
ماي زاوية تطعم الضيف الجيعان
ما ثعاني مثلها في كل امكان
واذا انكذب انشدها الناس الكل
(ما اتقول)

الله ينفعنا بركتو بجاه الرسول
فيهم طلبة علم اما البعض عدول
يقر كلام الله نظير كل الكتب

نحاذي الهنشير لبيض ليس ليه نطْبُ اما الراحة تكون لازم في زكار
في زكار نزناحسو ثم للفظل شرب شربه هائلة كاينسي عمل

★ ★ ★

لقينا اولاد مـون متغفين جبل ذكرناهم في لول وغلاش التكرار
ذكرناهم في لول ماؤ حذينا به بن خليفه شيخنا وانزور فيه
وين نحتاجوا انو اتجو نتجهو بيه بقثرة ربي يسخر نزول الامطار
بقدره ربي نمطر اجل الهلواس ويجهه المسبوب يروح لباس

★ ★ ★

هاك بقية الحد ما عاد ما مزال

نظمته يا قـباس لله زهيلة نو جتنا في لشوار
لله زهيلة وينتها سكنو لـبال بعث علفات وجميع المحال
هاك بقيت الحد ما عاد ما مزال ارسومي سجلتها في اثريونار
ام ارسوم مسجلا في دفتر خان اولاد يجي في اترابها ولخرى سكان
ثم بعض قدم شرو شوي وطيان والشراع عجز من غلو الاسعار
الشراع عجز والسفر غلا عليه الناس تسمع بالربع من كل برتجيه
هاك يجي هطاي لوخر يعشب فيه العندو بعير يهز القمح اودار
العندو بعير يهز قمح يديه بعث دفتر خان هل لاديب اشبيه

★ ★ ★

ها الملك الحديث جا من عارض فيه حجاج واشكايات بالحياي ، غار
ها بالحياي غار غلاملاك الكل لمذها باتمامها بحيره وأجل
يا تينا برسوم صنع الناس قبل انطلوغ المقصود كيفاش كان وصار
نطلوغ المقصود ويجيونا الخصمين بطاقات مغينا بجلينة لشين
جدي شرا من جدهم مثي غوار جديد شري من جدهم تو قداش
نا شاري بالمال ما اعطنيش بلاش واعدول الكتبينها طلبه شطار
واعدول الكتبينها طلبه عراف حتى الخصم شجيع ما هو شي خواف

وله في وصف الحصان والفارس

لا ركبوش بي ولا وزير
أشقر في الحلا مطعوم بخير
ما يعرفش للعلفا حكير
خاضو مقرقا وجزيو غزير
جتابو باذن وكفلو شهير
واذا اصهل سمع زهير
فاقذ لبطو غفب النصير
البابور في سبطو يجير
زيد ركاب م الذهب الشهير
عشره الاف حقو في الحكير
عظيم عاج مشري من زمير
الوان مخالفه بصيغ العفير
يهز عشاء م الهند الذكير
كسوة تامه مالها نظير
جاز الجود يحسن العشير
دزت خالت زين الظفير
جتنا زاغيا علينا تغير
ركب الظهر ساير للفجير
يلق رجال تزاهر زهير
كل من صادفو عمر قصير
ولوخر مال عن مرج أسير
بناو بيوتهم علوا الحجير
عرطوا الفارس قصدهم يسير
زوز الخالتك ليسا تحير
بين احضانها مثل الصغير
يا لبنات اتبعوا بخير
قلو كيف نا بعديك اندير
نوصل نجعنا ونذر خبير

مل كوت يعجب في النظر
لونو يزيد متعة في العمر
سنو زباغ قبل لا يكر
يكسي الزيح ع الخط الشقر
بين خوافر بذوب الصخر
رفقه ناخله تواتي الصذر
كلو صيد في خنقه اوغر
كلو بحر بامواجو كير
اصطاره ودير يغنو علي الفقر
اما البشت رغو معتبر
القربوس ما يجرخ الظهر
البادو تامه سبع خمير
طويلة وسيف مرجي الشقر
احرام خريز وبراش كير
مولي الكوث متسبي ذكير
حتى انهاز ما عند خير
قتل : خال نا نجعي صذر
جبد الكوت ما طاقو صبر
سمع بارودك جسمو كثر
جبد السيف مع الغدر
هاك مات ولوخر انكسر
رد النجع هانسي للوكر
طلعوا قوم من ضيم الشعير
قالوا ليك نذو الغفير
سبع ايام لا غمض شقر
تمت ضيفتوا طلب السفر
تمت قافله بنت الحضر
قلها ولقتي ما اتشوف شر

تحقيق : ماذا يحسن أن تعرف عن المركب الفلاحي « محسن الامام » بالكريب

○ المركب الفلاحي « محسن الامام » نبراس مضىء على درب كسب
الرهان .

الارض أم الجميع لا تكل ولا تمل من السخاء والعطاء كلما وجدت من
يعاملها ويسعى لتبديل وجهها ، يحنو عليها ويبادلها الوفاء ويصر على
الالتحام الدائم بها والاعتراف لها بالجميل . فقد احتضنت الانسان منذ التاريخ
السحيق تغدق عليه من خيراتها وتوفر له حاجياته المختلفة وتجدد عليه
بنعمتها كلما جاد عليها بعرق جبينه المتصبب وقابل عطاها بالمعانة وجاب
ارجاءها باحثا ومنقبا وضرب في مناكبها حرثا وغراسا واستصلاحا واستنبط
الوسائل لاستدراها حتى تقدم له الرزق الحلال الطيب وتغنيه بغذاء نافع .

ولقد أصبح واضحا ان استقلال الشعوب واستقرار أمنها الحقيقي لا يمكن
في السلاح الحربي الرادع الذي يعلوه مع الأيام الصدا ، لكن ثمة سلاحا
اضمن وانجع لنشر الامان والطمأنينة وهو السلاح الاخضر .. سلاح لا تقل
فيه الاحداث ولا تعرف سوقه الكساد . انه القوة ، هذا الدرع الواقي وشتان
بين سلاح يجلب الموت والفناء وسلاح ينشر الامن والاستقرار وحلاوة
العيش . ذلك هو الرغبة الذي تتجلى به العزة والكرامة وتندعم بوجوده
السيادة في ابهى مظاهرها .

من هنا كانت اهمية الفلاحة في حياة الشعوب وهي اول نشاط تعاطاه
الانسان فوق البسيطة لتوفير حاجياته الغذائية . فهي اذن رهان متواصل
الحلقات يستلزم كثيرا من الجهد والمثابرة والبذل والعطاء . وبكل بساطة فان
الانسان لقادر على الصبر عندما لا يجد الثوب والحذاء وحتى المسكن لكنه لا
يتقرب بأي حال من الاحوال توفر رغبة الخبز او يصبر قليلا على فقدانه .

والفلاحة التونسية تحسست طريقها مع انطلاق المخطط السادس الذي
خصص لها خمص الاستثمارات العامة ايمانا من المجموعة القومية بأن هذا
القطاع هو المرآة العاكسة لمستوى النضج الحضاري وقمة الادراك لضمان

الامن الحقيقي في عالم يتسم بالمزيدات ومحاولات اركاع الشعوب وخاصة عن طريق الغذاء . حينئذ لم تعد الفلاحة مجرد نشاط هامشي او قطاع ثانوي مرتبط برحمة السماء وانما اصبحت بفضل تطور تقنياتها واساليبها بحرا زائرا لا ينضب معينه ، تتكامل عناصرها وتتداخل لتوفر القوت الضروري وتتحول مع ذلك مادة اساسية لعدد كبير من الصناعات التحويلية تعتبر بلادنا في امس الحاجة إليها . ان تطور تونس الحقيقي يبقى في اعتقاد الجميع مرتبطا بنمو الفلاحة احببنا ام كرهنا باعتبار اهميتها اولا واستقطابها لأكبر نسبة على الاطلاق من اليد العاملة النشيطة ثانيا ، وليس في هذا دعوة إلى التخلي عن الميادين الاخرى كالصناعة والتجارة وغيرها وانما ينبغي ان نعطي الاولوية في اهتماماتنا الى الفلاحة كركيزة اساسية في التنمية الشاملة والمتوازنة التي تشهدها بلادنا وخاصة منذ الثمانينات .

المركب الفلاحي محسن الامام (معمدية الكريب ولاية سليانة) درة فريدة من درر الفلاحة العصرية في بلادنا ، يستطع **نور** عاليا ويجسم قمة التحدي بجميع اشكاله : تحدي الطبيعة في بخلها وتحدي الانكماش الذي تشهده بعض القطاعات الاخرى فهو يساهم في الرفع من الانتاج الفلاحي القومي وهو وجه بشر يبعث التفاؤل في النفوس ويجسم روعة الرجوع الى الاصل ، الى الارض . وقد نجح الى ابعد حد في خلق روح عميقة الجذور لدى كل الفلاحين بالجهة وبعث عقلية جديدة وتدعيم الاصرار على مواصلة الجهد والعمل في انبل قطاع وانفعه للناس . من ناحية أخرى يمثل هذا المركب صورة مصغرة لتوازن عناصر الفلاحة وتكاملها في بلادنا وانموذجا واضحا لما ينبغي ان تكون عليه في المستقبل رغم صبر انفلاح ومعاناته اليومية وجهاده ضد الطبيعة على اختلاف ظواهرها وتقلباتها ليرسم روعة ما تخلقه السواعد وابنكارات العقول .

لقد كان ضيعة من ضيعات الاستعمار ومر بجميع الفترات التي مرت بها الاراضي الدولية بعد تأميمها في 12 ماي 1964 ، وهي الفترات التي اتسمت بالاستغلال الفلاحي العشوائي وخاصة في فترة التعاضد . وفي شهر سبتمبر 1970 اصبح تحت اشراف ديوان الاراضي الدولية المباشر من حيث التصرف والبرمجة والتصور والمتابعة وغيرها . يسمح هذا المركب 2653 هكتارا منها 525 اراض غابية ، ومن مميزاته خصوصية اراضيه التي تشكل

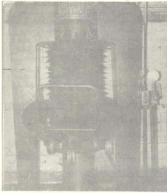
سهلا صالحا لجميع الزراعات والغراسات والنشاطات الاخرى إذ يتربع على مائدة مائية هامة . وخلافا لما كان عليه في الماضي يتميز مركب محسن الامام بتنوع نشاطه تماشيا مع الاتجاه الفلاحي العصري الذي تسعى الحكومة الى نشره ، عماده تكامل العناصر المنتجة وتشابكها لتجعل منه نسيجا رائعا ومتصل الحلقات .

تفجير المياه :

على الرغم من ان معتمدية الكريب من المناطق التي تنزل بها سنويا كميات محترمة من الامطار فان المركب تمكن على امتداد الخمس سنوات الفارطة من تفجير ثلاثة ابار عميقة تبلغ طاقة دفعها 56 لترا في الثانية بالاضافة الى الشروع في حفر بئر رابعة ، وقد بلغت تكاليف هذه الابار الثلاثة 160 الف دينار وتقدر تكاليف الرابعة التي هي الان بصدد الانجاز 81 الف دينار ايمانا من الساهرين على حظوظ المركب بأن توسيع النشاط الفلاحي وتأمين الانتاج الوافر لا يمكن بلوغه الا بتوفير مصادر الري وتسخير المياه لادخال تجارب جديدة لا يكتب لها النجاح الا بوجود الماء ، من ذلك ادخال الزراعات العلفية المروية في جانب هام من المساحة الجميلة المخصصة لها والمقدرة بـ 650 هكتارا في السنة .

التشجير :

يعتبر التشجير من أهم العناصر الاساسية التي يتميز بها مركب محسن الامام الفلاحي ذلك ان تجربة غرس التفاح والاجاص انت اكثلا في فترة وجيزة رغم ان المساحة لا تتعدى 40 هك من الانواع غير المتداولة وذات الانتاج الرفيع والتي عادة ما تتأقلم مع المناخ الاروبي لكنها في هذا المركب دفعت بالمسؤولين إلى التفكير في توسيعها وتكثيف غراسها بناء على المردود الحسن المسجل . اما مساحة الزياتين فتنتشر فوق 506 هك منها 251 من عهد الاستعمار و 225 من فترة التعاضد في الستينات متواجدة كلها في السفوح المجاورة للسبل وتقوم بدورين أساسيين يتمثلان في حماية الارض من الانجراف وتوفير الانتاج من الزيوت على وجه الخصوص ، ويتراوح الانتاج السنوي لهذه الزياتين ما بين 350 و 400 طن .



وقد فكر ديوان الاراضي الدولية في توسيع تجربة ادراج نوع جديد من الاشجار المثمرة في مركب محسن الامام يتمثل في 19 هك من « حبة الملوك » منها 15 هك منذ بداية الثمانينات وقد سجلت نتائج ايجابية للغاية تدعو إلى المواصلة في هذا الاتجاه . وبذلك يصل حاليا عدد الاشجار المثمرة الجملي في المركب إلى 78 000 عود تصريف اليها العناية الفنية اللازمة .

تربية الماشية :

انها العنصر الاساسي وذو الاولوية المطلقة في نشاط المركب الفلاحي محسن الامام منذ سنة 1976 . وعليه يركز الانتاج الاوفر من الحليب بالمقارنة مع بقية المركبات الموجودة في مختلف الولايات الاخرى اذ يجعله يتصدر الطليعة بانتاج 300 5 لتر في السنة كمعدل للبقرة الواحدة وهو رقم قياسي يتجاوز الرقم الاوروبي الذي هو 5 000 لتر كمعدل قومي في فرنسا على سبيل المثال . وهذا الانتاج يكاد يكون ضعف المعدل القومي التونسي البالغ 3 000 لتر في السنة . اما حجم الانتاج العام فإنه يبلغ 2.300.000 لتر خلال السنة الفلاحية 84 - 1985 خصصت نسبة 90 % منه لتمويل استهلاك تونس العاصمة . وقد سجل مركب محسن الامام من مداخل الحليب 488.110 دينار في نفس السنة . ويبلغ عدد رؤوس الابقار الحلوب



حاليا 450 رأسا يدعمه انتاج 150 رأسا في السنة معدا لتوفير اللحوم . وللزيادة في هذا العدد وضع برنامج اضافي زاده 150 بقرة أخرى شرع بعد في بناء اسطبل ثالث لايواشها ، املا في بلوغ انتاج من الحليب لا يقل عن 9 500 لتر في اليوم حسب المخطط المقبل للضيعة .

وفيما يتعلق بالاغنام فان مركب محسن الامام يملك حاليا 850 نعجة من نوع « تيبار » قادرة على انتاج 150 خروفا من النوع الممتاز وزنا وحجما عن كل مائة رأس غنم تصرف كلها لتوفير اللحم . اما انتاج الصوف فيتراوح ما بين 2 000 و 2 500 كلف سنويا تباع بالمزاد العلني وحبذا لو يقع التفكير في تحويلها على عين المكان مثلما يفعل المركب بقسط من الحليب وانتاج الزياتين وبذلك تفتح افاق جديدة للتشغيل .

التشغيل :

مثل بقية المؤسسات الحية ، يقوم مركب محسن الامام بمجهود كبير في توفير الشغل على النحو التالي : - الاطار الفني : 10 - العمال : 84 قارون بالاضافة إلى 80 كمعدل سنوي للعمال الموسمين . وفي فصل الشتاء على

وجه الخصوص يشغل هذا المركب 220 عاملا باعتبار اشتغال معصرة الزيتون التي لا يقتصر دورها على تحويل انتاج الضيعة بل تشع على من حولها من الفلاحين الخواص والوحدات الانتاجية المجاورة .

رقم المعاملات :

لقد بلغت مقايض المركب الفلاحي محسن الامام خلال سنة 1985/1984 على سبيل المثال : 958.466 دينارا مفصلة كما يلي :

- الحليب : 488.110 د - اللحم البقري : 81.364 د - اللحم الغنمي : 29.830 د

- الحبوب : 151.479 د - التفاح والاجاص : 126.757 د - الزيت : 80.831 د

اما الدفعات فقد كانت على النحو التالي : - اجور ومنح وتأمينات اجتماعية : 277.670 د -

الشراءات : 373.017 د . ومن خلال المقارنة بين المقايض والدفعات يتبين جليا ان مركب محسن الامام قد حقق ارباحا بلغت في الموسم المنصرم : 328.180 د وزع قسط منها على العمال يعادل نسبة 10 % حسبما ينص عليه القانون الاساسي للمركبات الفلاحية .

وتجدر الاشارة انه بالرغم من ان الاعتماد على الحبوب ليس كبيرا فقد بلغ انتاج القمح الصلب واللين والتريتيكال على مساحة 560 هك 31 قنطارا في الهكتار الواحد في حين لا يتجاوز المعدل القومي 12 ق/هك .

الاستثمارات :

اعتنى مركب محسن الامام بهذا الجانب عملا بالمثل القائل : من لا يتقدم يتأخر ومنذ سنة 1981/1980 لم ينزل معدل الاستثمار السنوي من مائة الف دينار في البناءات الجديدة (اسطبلات) وتجديد التجهيز الفلاحي وغراسات التفاح والاجاص وفي بناء بيت مكيف لتصبير الغلال والخضر تبلغ طاقة استيعابه 400 طن موضوع على ذمة الوحدات الانتاجية والفلاحين الخواص

ايضا . وزيادة على ذلك وقّع التفكير في بعث معمل الجبن لتصنيع جانب
وأفر من انتاج الضيعة من الحليب (الف لتر في اليوم) كتجربة ربما ستتوسع
مستقبلا بعد اختبار حالة الترويج وقدرة السوق الحقيقية على استهلاك هذه
المادة .

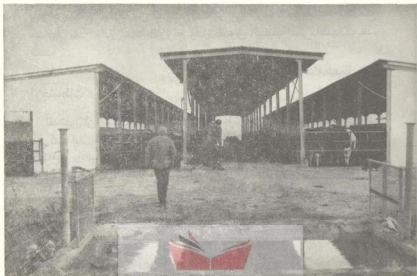
الاحتياطات :

لقد تبين ان الجفاف مهما طالته مدته لا يؤثر على النشاط الفلاحي في هذا
المركب أولا بفضل الابار العميقة ثم بفضل الاحتياطات النابعة من حسن
التخطيط واعتبار اسوء الاحتمالات في الحسابان . لذلك نجد ان كميات العلف
المخزونة هي 46.000 بالة من التبن و 16.000 من القروط اضافة إلى
1600 طن من العلف الأخضر المعبر عنه (بالانسلاج) وهي كميات تسمح
بمجاهاة الجفاف لمدة طويلة . وزيادة على ذلك فقد اعتمدت تجربة سقي
العلف المزروع انطلاقا من الابار العميقة التي اشرنا إليها سابقا .

التدخل الاجتماعي :

لقد ساعد المركب الفلاحي محسن الامام عماله القارين على الانتفاع
بالمسكن اللائق في اطار نظرة اجتماعية إنسانية تجسم السياسة المتبعة في
الحكومة والحزب من ذلك ان جملة المساكن التي بنيت في هذا المضمار بلغ
عددها 88 مسكنا عصريا بمساهمة ديوان الاراضي الدولية بلغت 16 000
دينار كتمويل ذاتي عن العمال ينضاف الى ما وفره برنامج التنمية الريفية
ومجلس الولاية . ثم ان المركب تولى بناء مدرسة ابتدائية بمنطقة الدخانية
تتكون من قاعتين تكاليفها 11 000 دينار بالاضافة إلى بعث نقطة تجارية
لتوفير المستلزمات الغذائية للعمال ومتساكني المنطقة رأس مالها 4 000
دينار . كما يوفر المركب اعتمادات هامة سنويا سواء للمساعدات الاجتماعية
المختلفة او لفنح الافاق امام ابناء العمال وتشريك النجباء منهم في المصانف
القومية .

واعتمادا على الارباح المسجلة كل سنة فان امكانيات التشغيل يمكن ان
ترفع اعتبارا لكون المركب لا يتصرف حاليا الا في نسبة الربع من امكاناته
المالية الحقيقية بما في ذلك الاستثمارات .



ARCHIVE

تلك هي صورة واضحة عن المركب الفلاحي محسن الامام الذي يعتبر
مفخرة من مفاخر الفلاحة التونسية تبدو خطاه ثابتة على النهج الصحيح في
اتجاه كسب اكبر رهان تسعى اليه تونس اليوم وهو بلوغ الاكتفاء الذاتي
الغذائي . ولعل اهم اسباب نجاحه تكمن زيادة على ما حبه به الطبيعة في
المناخ الاجتماعي السليم الذي يسوده التعاون وروح المسؤولية والثقة
المتبادلة بين جميع اطاراته وعماله وفي مقدمتهم مديره الشاب ابراهيم
الوسلاتي التي يتميز بصفات ابرزها المقدرة والذكاء والحيوية وروح البذل
والعطاء .

تحقيق المولدي الكنيزي
تصوير محمد الطرهوني

وأظُلُّ أسأل عنه

مصطفى الطاجيني
بنزرت

أَيُّهَا الرِّيحُ الَّذِي لَا تَتَعَبُ عَرَبَاتَهُ
أَلَمْ تَرَى امْرَأَةً مَرَّتْ مِنْ هُنَا
تَحْمِلُ بِصِمَاتِ يَدِي الَّتِي كَانَتْ تَحْلُمُ
بَيْنَ يَدَيْهَا
أَلَمْ تَرَى امْرَأَةً غَارِقَةً فِي السَّفَرِ
يُطِلُّ رَبِيعٌ خُجُولٌ مِنْ عَيْنِهَا

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhr.it.com

أَيُّهَا المَطَرُ الهَابِطُ مِنْ عَرَبَاتِ السُّحُبِ
أَيُّهَا الرِّيحُ الَّذِي يَدُقُّ أَجْرَاسَهُ بَيْنَ أَغْصَانِ الشَّجَرِ
أَلَمْ تَرَى حَبِيبَتِي مَرَّتْ مِنْ هُنَا...
يَوْمَ سَافَرْتُ...
وَلَمْ تُودِّعْنِي قَبْلَ السَّفَرِ
أَلَمْ تَرَى وَرْدَةً حَرَفَهَا صَيْفُ الرَّجُلِ
خَلَّفْتَنِي بِغَدَا وَخَدِي...
أَطْفِئْ أَيْامِي فِي ظِلْمَةِ الحُزْنِ الطَّوِيلِ.
